

الرؤية الكلامية والتفسيرية لمسألة الهدى والضلال والختم والطبع دراسة تحليلية

Theological and Interpretative Vision of Guidance, Aberration, and Sealing of Heart: Analytical Study

إعداد الدكتور

إبراهيم منصور صابر إبراهيم

Ibrahim Mansour Saber Ibrahim

مدرس بقسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القرين، جامعة الأزهر، مصر

الرؤية الكلامية والتفسيرية لمسألة الهدى والضلال والختم والطبع "دراسة تحليلية"

إبراهيم منصور صابر إبراهيم
قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القرين، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
البريد الالكتروني : Ibrahimibrahim.28@azhar.edu.eg

الملخص :

تدور محاور هذا البحث حول بيان رؤية المتكلمين تجاه آيات الذكر الحكيم؛ المشتملة على خلق الهداية، والإضلال، والختم، والطبع – للآيات محل النزاع –، وهنا يُبرز البحث رؤية أهل الاعتزال، وبيان أدلتهم في توجيه آيات الذكر الحكيم لخلق الهداية، والإضلال، والختم، والطبع من الله تعالى، اتساقًا مع تصورهم لبعض مسائل علم الكلام في خطوات متتابعة، يأخذ بعضها بحجر بعض؛ لبناء رؤية كلامية اعتزالية من وجهة نظرهم.

ومن ثَمَّ يتابع البحث إبراز تلك المسألة وبيان حقيقتها من وجهة نظر أهل السنة – الأشاعرة والماتريدية –؛ لبيان ثمة فرق بين رؤيتهم، ورؤية المخالفين لهم من أهل الاعتزال في المسألة ذاتها.

وعندئذ يتوجه أهل السنة والجماعة إلى منحى استدلالي سديد يقوم على تأكيد رؤيتهم من جهة، وإبراز فساد وتهافت قول المخالفين من جهة أخرى.

يتابع البحث كذلك توضيح المسألة من وجهة نظر بعض المفسرين؛ للوقوف على موطن الاتفاق والاختلاف بين الرؤية الكلامية، والتفسيرية، وإلى أي مدى كان للجانب التفسيري ترجيح فيها عند المتكلمين.

<u>الكلمات المفتاحية</u>: الرؤيه، الكلامية، التفسيرية، الهدى، الضلال، الختم، الطبع.

Theological and Interpretative Vision of Guidance, Aberration, and Sealing of Heart: Analytical Study

Ibrahim Mansour Saber Ibrahim
Lecturer in the Department of Dogma (Islamic Theology) and Philosophy, Faculty of Arabic and Islamic Studies for Girls, Al-Azhar University, Egypt
Email Address: Ibrahimibrahim.28@azhar.edu.eg

Abstract:

The core study of this research paper is demonstrating the speculative theologists' vision of the disputed verses about guidance, aberration, and sealing of heart in the Noble Qura'n. The paper highlights the vision and evidence of the Mu'tazilites in explaining the Qura'nic verses about the creation of guidance, aberration and sealing of heart in a successive way that is consistent with their perception of some theological issues to build a rhetorical separated vision from their point of view. Thus, the research continues to highlight and clarify the truth of this issue from the point of view of the Sunnis, the Ash'aris, and the Maturidis to illustrate the difference between their vision and that of the Mu'tazilites who disagree with them regarding the same issue. Ahl As-Sunnah wa Al-Jama'ah (Muslims who follow the same way of the Prophet (PBUH) and his companions) adopt a sound inferential approach based on promoting their vision on one hand, and highlighting the corruption and incoherence of that of the dissenters on the other hand. The research also continues to clarify the issue from the point of view of some interpreters to highlight the similarities and differences between the theological and the interpretative visions, and also to show the extent to which theologians preferred the interpretative one.

Keywords: vision, theological, rhetorical, interpretative, guidance, aberration, sealing of heart

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له سبحانه، أرسل رسله بالهدى، ودين الحق؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور. فصلاة وسلامًا على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين.

وبعد،،،

فمعلوم أن الإنسان الذي تحمل الأمانة، والتكليف، قد زوده الله تعالى بقوى، وملكات، واستعدادات لأداء تلك الأمانة؛ فمنحه الله تعالى العقل الذي يميز به بين الحق والباطل، وأرشده طريق الحق؛ فأنزل الكتب، وأرسل الرسل لهداية الناس جميعًا قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1]، بل وجعل في الإنسان قوة واعية مدركة يستخدمها في تزكية النفس، وتطهيرها.

علاوة على أن الإنسان يتميز عن غيره من المخلوقات بحرية الاختيار.

وعليه فإن مسألة الهدى، والضلال والختم والطبع من المسائل التي ارتبطت بأفعال العباد عند المشتغلين بعلم الكلام.

لقد اختلفت إجابات أهل العلم تجاه تلك المسألة؛ تبعًا لاختلافهم في مسألة أفعال العباد سلفًا.

فالمعتزلة قد نهجوا على أن الانسان يخلق فعل نفسه؛ فانتهى بهم هذا المنهج إلى محاولة التوفيق بين مذهبهم وآيات الذكر الحكيم التي تسند فعل الهداية، والإضلال، والختم، والطبع إلى الله تعالى.

على أن المسألة ترتبط عندهم بمسائل عديدة في دوائر علم الكلام ؛ كمسألة الحسن والقبح، والخير والشر، والصلاح والأصلح، والثواب والعقاب، والعدل والفعل الإلهي.

أما أهل السنة فقد خالفوا أهل الاعتزال في المنهج والنتيجة؛ وذلك لأنهم لم يسندوا فعل العبد إلى العبد بل أسندوا خلقه لله تعالى؛ وتبعًا لذلك

---

(١) سورة النساء، الآية (١٦٥).

المنهج كانت الآيات التي تَستند فيها الهداية والإضلال، والختم والطبع هي لله على الحقيقة، ولا مجال لتأويل النص وتوجيه دلالاته غير المرادة عندهم.

أضف إلى ذلك أنه قد تقرر في أذهانهم أن من رحمة الله تعالى بعباده فيما يفعله من إضلال لبعض عباده بالختم، والطبع، وغير ذلك لا يفعله بالعبد لأول وهلة، وإنما يأتي بعد تكرار الدعوة إليه ؟! سبحانه، والتأكيد في البيان والإرشاد، ثم إن العبد يبالغ في الكفر والعناد.

وإلى جانب ما سبق من بيان أهمية رؤية المتكلمين في المسألة، تأتي رؤية المفسرين، وبيان أهميتها؛ لا سيما أن هذا الأمر يزيد المسألة وضوحًا، وبيانًا للمتكلمين، وللباحثين المعاصرين في المسألة؛ إذ أن مناط البحث يدور حول آيات الذكر الحكيم.

ومن هنا جاء عنوان هذا البحث: **الرؤية الكلامية، والتفسيرية لمسألة الهدى والضلال، والختم والطبع "دراسة تحليلية".**

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

تتجلى أهمية الموضوع وأسباب اختياره في:

١- التعرف على كيفية التناول لهذه المسألة عند المتكلمين والمفسرين.

٢- حل إشكالية المسألة عند المدرستين الكلامية والتفسيرية، وإظهار مدى الاتفاق والاختلاف بينهما.

٣- كثرة تعلقات المسألة بمسائل علم الكلام الأخرى، والتي كانت محل اختلاف عند المشتغلين بعلم الكلام؛ كمسألة الحسن والقبح، والصلاح والأصلح، والثواب والعقاب، والعدل والفعل الإلهي وعلاقته بالفعل الإنساني.

٤- محاولة إظهار منهجية الاختلاف بين علماء كل مدرسة، وكذا بين المدرستين بجملتهما.

٥- إثراء المكتبة الإسلامية بمزيد من الأبحاث التي تجمع بين الفكر الكلامي والتفسيري.

منهج الدراسة

يشتمل البحث على عدة مناهج وهي على النحو التالي:

١- المنهج التحليلي: حيث يُستخدم في تحليل، وتفكيك نصوص المتكلمين والمفسرين تحليلًا علميًا دقيقًا.

٢- المنهج النقدي: وهو الذي يهتم بتوجيه النقد اللازم لما هو مخالف من آراء عند المتكلمين، والمفسرين؛ لإظهار معرفة صحيح الأفكار من فاسدها.

٣- المنهج المقارن: وذلك للمقارنة بين آراء المتكلمين مع بعضهم البعض، وكذلك المقارنة بين آرائهم، وآراء المفسرين من جهة أخرى.

مكونات البحث

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة

المقدمة: تشتمل على أهمية البحث، وأسباب اختياره، ومنهج الدراسة.

التمهيد: ويشتمل على التعريف اللغوي لمصطلحات الهدى، والضلال، والختم، والطبع.

المبحث الأول: الرؤية الكلامية لمسألة الهدى والضلال، والختم والطبع.

المبحث الثاني: الرؤية التفسيرية لمسألة الهدى والضلال، والختم والطبع.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والفهارس

.

تمهيد:

بين الله سبحانه وتعالى صراحة في آيات كثيرة؛ بأنه يهدي، ويضل، ومن يضله يختم ويطبع على قلبه، وعلى إثر هذه الآيات تنوعت أقوال المتكلمين تجاه تأويلها، وبيان حقيقتها على حسب وجهة نظر كل فريق ببيان أدلته في المسألة.

إلا أنه قبل الخوض في إبراز تلك الآراء عند أصحابها؛ لابد من بيان معنى الهدى، والضلال، والختم، والطبع من حيث اللغة.

أما الهدى فهو من هدى، واهتدى، واستهدى، والهادي، وقد هداه هدى، وهديا، وهداية، وهدية، وهداه للدين هدى، وهداه يهد به في الدين هدى. والهدى نقيض الضلالة، ويقال: هدى فاهتدي، وقال الزجاج في قول الله ﷻ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ﴾[1]، يقال: هديت إلى الحق، وهديت للحق، بمعنى واحد؛ لأن هديت يتعدى إلى المهديين، والحق يتعدى بحرف جر، المعنى الله يهدي من يشاء إلى الحق[2].

والهُدى بمعنى الرشاد والدلالة، يؤنث ويذكر، يقال: هداه الله للدين هدى...، وهديته الطريق والبيت هداية، أي عرفته [3].

والهدى والهداية: الدلالة المطلقة، وقيل: الهداية قد تتعدى بنفسها إلى المفعول الثاني لفظًا، أو تقديرًا، ومعناها حينئذ الإيصال إلى المطلوب، ولا تستند إلا إلى الله تعالى، وقد تتعدى بالحرف أي بإلى، أو اللام، لفظًا، أو

---

(١) سورة يونس، جزء من الآية (٣٥).

(٢) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري الهروي، (ت ٣٧٠هـ) ج١ ص٢٠١ تحقيق محمد عوض، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط (٢٠٠١م)، وينظر: لسان العرب، لابن منظور الأنصاري ج١٥ ص ٣٥٤، نشر: دار صادر، بيروت ط (١٤١٤هـ).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل الفارابي، ج٦ ص٢٥٣٣ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، نشر: دار العلم للملايين، بيروت ط٤، (١٤٠٧).

تقديرًا، ومعناها حينئذ الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، فتستند تارة إلى النبي، وتارة إلى القرآن [١].

أما الضلال: "فهو من ضل ضلًا، وضلالًا، والضاد واللام أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو ضياع الشيء وذهابه في غير حقه.

يقال: ضل يضل ويضل لغتان، وكل جائر عن القصد ضال.

والضلال والضلالة بمعنى، ورجل ضليل ومضلل؛ إذا كان صاحب ضلال وباطل، ومما يدل على أن أصل الضلال ما ذكرناه، قولهم أضل الميت، إذا دفن، وذاك كأنه شيء قد ضاع، ويقولون ضل اللبن في الماء [٢].

والضلال: الغياب، والهلاك، والباطل، والنسيان والعدول عن الطريق المستقيم عمدًا، أو سهوًا، كثيرًا وقليلا.

والضلالة: سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب، وضلالة العمل بطلانه، وضياعه [٣].

وعلى هذا فالضلال هو عدم الهدى والرشاد، والضياع، والغياب، والهلاك.

أما الختم: فالخاء والتاء والميم أصل واحد، وهو بلوغ آخر الشيء: يقال ختمت العمل، وختم القارئ السورة.

أما الختم وهو الطبع على الشيء، فذلك من الباب أيضا؛ لأن الطبع على الشيء لا يكون إلا بعد بلوغ آخره في الإحراز، والخاتم مشتق منه؛ لأن به يختم [٤].

والخاتم الفاعل، والختم على القلب: أن لا يفهم شيئًا، ولا يخرج منه شيء؛ كأنه طبع [٥].

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي التهانوي، (ت بعد ١١٥٨هـ) باختصار، ج٢ ص١٧٣٨ تحقيق د/ علي دحروج، نشر: مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط١(١٩٩٦م).

(٢) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي(ت٣٩٥هـ) ج٣ ص٣٥٦ تحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر دار الفكر سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٣) المعجم الوسيط، تأليف مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج١ ص٥٤٣ نشر: دار الدعوة، بدون تاريخ.

(٤) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، ج٢ ص.٢٤٥.

(٥) لسان العرب، ابن منظور ح١٢ ص١٦٣.

وختم على فمه: منعه من الكلام، يقال: اليوم نختم على أفواههم" نربط ونمنع،

وختم على قلبه: جعله لا يفهم شيئًا؛ كأنه غطَّاه، وختم الله على قلوبهم: صرفها عن الحق، وسمها بسمة الكفر؟ ختم فلان عليك بابه: إذا أعرض عنك[١].

أما الطبع: فهو في الأصل مصدر، والطبيعة مثله، وكذلك الطباع.

والطبع: الختم، وهو التأثير في الطين والطابع بالفتح: الخاتم، والطابع بالكسر: لغة فيه.

وطبعت على الكتاب: أي ختمت عليه، وطبعت الدرهم والسيف أي عَمَلْتُ، وطبعت من الطين جرة [٢].

وطبع الله على قلب الكافر، أي ختم فلا يعي، ولا يوفق لخير؛ قال أبو إسحاق النحوي: الطبع والختم واحد، وهو التغطية على الشيء، والاستيثاق من أن يدله شيء[٣].

وعليه فالمراد من الختم والطبع هنا ختم الله على قلب الكافر فلا يصل إليه، ولا يوفق لخير.

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر(ت١٤٢٤هـ) نشر: عالم الكتب ط١(١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ج٣ ص١٢٥٢،١٢٥٣، وينظر: مختار الصحاح، زين الدين أبوعبد الله محمد بن بكر الرازي (ت٦٦٦هـ)، ج١ ص١٨٨ تحقيق/ يوسف الشيخ، نشر المكتبة العصرية، بيروت ط٥ (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني ج٢١ ص ٤٣٨ تحقيق مجموعة من المحققين، نشر: دار الهداية، بدون تاريخ.

المبحث الأول

الرؤية الكلامية لمسألة الهدى والضلال، والختم والطبع

أولًا: رؤية المعتزلة:

ترتبط هذه المسألة عند أهل الاعتزال بمسألة أفعال العباد، في كونها ليست من فعل الله تعالى حقيقة.

يقول القاضي عبد الجبار، (ت ٤١٥ هـ): "أفعال العباد لا يجوز أن توصف بأنها من الله تعالى، ومن عنده، ومن قِبله؛ وذلك واضح فإن أفعالهم حدثت من جهتهم، وحصلت بدواعيهم، وقصودهم، واستحِقوا عليها المدح والذم، والثواب، والعقاب فلو كانت من جهته تعالى، أو من عنده، أو من قبله؛ لما جاز ذلك، فإذًا لا يجوز إضافتها إلى الله تعالى إلا على ضرب من التوسع والمجاز "(١).

وعليه فمن منطلق المرسوخ والثابت على حسب اعتقادهم لهذا التأصيل، يحاول المعتزلة توجيه دلالة آيات الذكر الحكيم في الهدى إلى وجوه: " أولها: الدلالة والبيان كقوله تعالى: ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾(٢) في صفة القرآن، وكقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾(٣).

وثانيها: زيادة اللطف التي بها يثبت على الهدى، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى ﴾(٤).

والثالث: الحكم بالهداية، كقوله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىۖ ﴾(٥).

---

(١) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ص ٧٦٦، تحقيق د/ عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة للنشر، ط ٢ (١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م).

(٢) سورة البقرة جزء من الآية ١٨٥.

(٣) سورة فصلت جزء من الآية ١٧.

(٤) سورة محمد جزء من الآية ١٧.

(٥) سورة الأعراف جزء من الآية ١٧٨.

والرابع: الثواب وطريق الجنة، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴾(١).

فالأول عام في جميع المكلفين، والثاني، والثالث، والرابع، خاص في المؤمنين"(٢).

ومن ثَم فالمعتزلة يرون أن دلالات الهدى قد تكون إرشادًا وبيانًا، أو لطفًا، أو حكمًا على المسمى؛ ليكون الثواب والطريق إلى الجنة، وفي نفس هذا السياق ذاته يؤكد صاحب الكشاف إحدى هذه الدلالات في قوله تعال: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾(٣)، فيقول: "ويهدي: يوفق من يشاء، وهم الذين علم أن اللطف يُجدي عليهم؛ لأن مشيئته تابعة لحكمته، ومعناه: يدعو العباد كلهم إلى دار السلام، ولا يدخلها إلا المهديون"(٤).

ثم إن القاضي عبد الجبار قد يجعل الهدى دلالة زيادة فيقول: " وربما سألوا عن قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾، كيف يصح ذلك عندكم، وأنتم تقولون أراد من الكل الهدى...، وجوابنا إن المراد فمن يرد الله أن يهديه بزيادات الهدى كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى ﴾ لشرح صدره للإسلام؛ لأن زيادات الهدى أحد ما يقوي صدر المؤمن على إيمانه"(٥).

وحين يجعل المعتزلة من بين هذه التأويلات كون الهدى لطفًا، أو ثوابًا وطريقًا إلى الجنة فهو من باب تقعيد المسألة عندهم ضمن سلسلة الواجبات؛ إذ أنهم يوجبون على الله تعالى ثواب العبد يقول الملاحمي

---

(١) سورة محمد الآية ٤،٥.

(٢) تحكيم العقول في تصحيح الأصول، للشيخ الحاكم الجاشمي، ص١٥٠،١٥١ تحقيق: عبد السلام بن عباس، نشر مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ط٢ (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

(٣) سورة يونس الآية ٢٥.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للإمام الزمخشري، ج٢ص٢١٨، طبعة مكتبة مصر ط١(١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

(٥) تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبد الجبار، ص١٣٧، نشر دار الهداية الحديثة، بدون تاريخ.

(ت٥٣٦هـ) :"يجب على الله تعالى ثواب المكلف؛ لأنه تعالى المختص بالقدرة على إثابة المكلف دائمًا فكان الاستحقاق عليه تعالى"[١].

وعليه تكون توجيه دلالة النص ثوابًا وطريقًا إلي الجنة كما يقول الزمخشري:"عن قول الله تعالى"﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[٢]، أي بسبب اعمالكم لا بالتفضل"[٣].

غير أن هذا الثواب لا يصل إلى المكلف عند أهل الاعتزال الا بعد أن يزيل الله عن عباده علل التكليف، وإلا عاد بنقض ثوابه لهم.

ومن ثَم يلزه اللطف منه سبحانه لعباده يقول عبد الجبار: "إنه تعالى إذا كلف المكلف وكان غرضه بذلك تعريضه إلي درجة الثواب، وعلم أن في مقدوره ما لو فعل به؛ لاختار عنده الواجب، واجتنب القبيح، فلابد من أن يفعل به ذلك الفعل، وإلا عاد بالنقض على غرضه" [٤].

وهنا ندرك حرص أهل الأعتزال على كون اللطف، أو الثواب من بين تأويلاتهم للهدى.

أما الإضلال فوجوهه كما يقولون "منها: الإضلال عن الدين كقوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ۝٨٥﴾[٥].

ومنها: الحكم بالضلال كقوله تعالي: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٦]، ومنها: الضلال عن الثواب.

ومنها: الهلاك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ﴾[٧].

---

(١) الفائق في أصول الدين، ركن الديم الملاحمي الخوارزمي ص٤٦٨ ت/ فيصل بدير عون، دار الكتب والوثائق القومية سنة١٤٣١هـ-٢٠١٠م، وينظر شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار ص٦٠٤، والمغني ج١١ ص١٣٤،١٣٥

(٢) سورة الاعراف جزء من الآية ٤٣.

(٣) الكشاف، للزمخشري ج٢ص٢١، وفي قوله تعاليٱ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ً يقول أي وقد وجب ثوابه ج١١ص١٣٤،١٣٥

(٤) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ص٥١٠، وينظر المغني ج١٣ ص١١٦

(٥) سورة طه جزء من الآية ٨٥.

(٦) سورة إبراهيم جزء من الآية ٢٧.

(٧) سورة القمر الآية ٤٧.

والذي لا يجوز على الله تعالى ويختص بالكلام فيه الإضلال عن الدين"[1].

إذن ففي مذهب أهل الاعتزال الإضلال عن الدين لا يجوز تصوره من الله تعالى.

ولئن سألتهم عن قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾[2]، فيقول الإمام الزمخشري (ت٥٣٨هـ) يخذله، ويخلّيه وشأنه، وهو الذي لا لطف فيه"[3].

وعليه إذا كان الهدى لطفًا عندهم؛ فيكون الإضلال سلبًا له.

ولئن تصور المخالف لأهل الاعتزال أن الهدى يقصد به خلق الإيمان، كما أن الإضلال يقصد به خلق الضلال من جهته، وهذا ما جعله القاضي عبد الجبار تصورًا لشبهة المخالف؛ إذ يقول: " قالوا – يقصد المخالف من الأشاعرة – قد قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾[4]، ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾[5]، وقال: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[6]، وقال﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[7]، فبين أنه جعل في قلوبهم الإيمان، والرحمة دون الغل؛ فيجب أن يكون الإيمان، والكفر من فعله؛ لأن الجعل هو الخلق، نحو قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾[8]، ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾[9]، واعلم أن المراد بقوله كتب في قلوبهم أنه فعل كتابة، أو ما يجري مجراها من علامة تدل على الإيمان،

---

(١) تحكيم العقول في تصحيح الأصول، للجاشمي ص١٥١.
(٢) سورة الأنعام جزء من الآية ١٢٥.
(٣) الكشاف، للزمخشري، ج١ ص٦٥٦.
(٤) سورة المجادلة جزء من الآية ٢٢.
(٥) سورة الحديد جزء من الآية ٢٧.
(٦) سورة الحشر جزء من الآية ١٠.
(٧) سورة الروم جزء من الآية ٢١.
(٨) سورة الأنبياء جزء من الآية ٣٢.
(٩) سورة النبأ الآية ١٠.

وهذا مثل قوله: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾[1]، ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾[2] "[3].

وعليه فالقاضي عبد الجبار يحصر شبهة المخالف في كون الجعل بمعنى الخلق.

إلا أنه سرعان ما وجه سهام نقده لقول المخالف؛ مستندًا لقول شيخه فتراه يقول: " قال شيخنا أبو علي رحمه الله: إن الجعل قد يكون بغير معنى الخلق نحو قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾[4]؛ لأنه ذمهم بذلك، فليس المراد أنه خلقها قاسية، ونحو قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[5]؛ لأن الله لم يخلقه خليفةً، وإنما صار خليفة بأمور وجدت بعد خلقه فمعنى قوله جعل في قلوبهم الإيمان، أنه حكم بذلك، وقوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا ﴾، أي لا تحكم علينا بذلك"[6].

فالقاضي عبد الجبار، وسلفه من أهل الاعتزال لا يرون جعل الهداية للإيمان، والإضلال، خلقًا لله تعالى، بل لا يتجاوز الأمر الحكم من الله تعالى بذلك.

ويصوغ القاضي عبد الجبار –سيرًا في نفس الاتجاه – شبه المخالف ليرد عليها من وجهة نظره فيقول: "قالوا: وقد نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإيمان كما

---

(١) سورة البقرة جزء من الآية ٧.

(٢) سورة النساء جزء من الآية ١٥٥.

(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، ج٨ ص٣١١ تحقيق د/ توفيق الطويل، وزارة الثقافة والإرشاد القومي للطباعة والنشر، بدون تاريخ.

(٤) سورة المائدة جزء من الآية ١٣.

(٥) سورة ص جزء من الآية ٢٦.

(٦) المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، ج٨ ص٣١٢ وينظر أيضًا: ما ذكره في شرح الأصول: من جعل الخلق للإيمان لا معنى له؛ إذ يقول:" فلو كان الإيمان من جهة الله تعالى، وموقوفًا على اختياره، حتى إن خلق كان، وإن لم يخلق لم يكن؛ لكان لا يكون لهذا الكلام معنى؛ لأن للمكلف أن يقول الذي منعني منه أنك لم تخلقه فيَ، وخلقت فيَّ ضده الذي هو الكفر " شرح الأصول ص٣٤٩.

نسأله أن يرزقنا الأولاد، فلو لم يكن فعله لم يصح ذلك، وقد نستعيذ به من الكفر، وذلك يوجب أنه فعله"(١).

وهنا يؤكد القاضي عبد الجبار في جوابه عن هذه الشبهة بإحدى الدلالات السابقة فيقول: " واعلم أنا قد بينا من قبل أن المراد بذلك الألطاف، وسائر ما عنده ينال الإيمان كما تقول: اللهم ارزقنا عدل فلان وإنصافه، والغرض: أن يلطف لنا في أن ينصفنا"(٢).

وحين يناقش المعتزلة توجيه دلالة الختم والطبع للنص الإلهي الكريم فهم لا يخرجون عن نفس الدائرة التي رسموها للهدى، والضلال من فهم النص على سبيل المجاز بالنسبة لله تعالى، وتأويله بما يتوافق مع أصلهم الثابت في خلق الإنسان لفعله.

هنا يجعل القاضي عبد الجبار هذا الختم مسألة يناقشها في كتابه " تنزيه القرآن عن المطاعن"، فيقول: "قالوا: فقد قال الله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، ج٨ ص٣١٢.

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار ص٣١٣. وليعلم القارئ أن القاضي عبد الجبار قد أجهد نفسه في ذكر كثير من الشبه التي تؤكد رؤيته للمسألة، بل والشبه التي من خلالها يحاول هدم رأي المخالف له، منها على سبيل المثال يقول القاضي عبد الجبار: "قوله جزاء بما كانو يعملون، وقولهجزاء بما كانو يكسبون، وقوله هل جزاء الإحسان إلا الإحسان، فلولا أنا نعمل ونصنع، وإلا كان هذا الكلام كذبًا، وكان الجزاء على ما يخلقه فينا قبيحًا، ومن ذلك قوله تعالى" وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الأخر" فلولا أن الإيمان موقف على اختيارنا وإلا كان لا يستقيم هذا الكلم ويجري مجرى أن يقول لهم: ما لهم لا يسودون، وماذا عليهم لو اسودوا؟ وذلك مما لا يجوز، وكان للخصم أن يقول أنت الذي منعتني عن الإيمان بأشد منع لم تخلقه فيّ، وخلقت فيّ ضده الذي هو الكفر ". ينظر: شرح الأصول الخمسة ص٣٤٩ وما بعدها، والمغني ج٨ ص٣١١، وما بعدها، والمختصر في أصول الدين " القاضي عبد الجبار ص٢٣٨ وما بعدها، ضمن رسائل العدل والتوحيد تحقيق د/ محمد عمارة، دار الشرق للطباعة ط٢(١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، وينظر: متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار في مسألة " اهدنا الصراط المستقيم" ج١ ص١١٤ وما بعدها، إذ أن القاضي عبد الجبار يطنب في الجواب لتأكيد رؤيته بأن الهداية ليست هي خلق للإيمان كما يدعي المخالف " تحقيق د/ عدنان زرزور، دار التراث للنشر، بدون تاريخ.

قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[١]. وهذا يدل على أنه قد منعهم من الإيمان، ومذهبكم بخلافه، وكيف تأويل الآية"[٢].

ولم تلق هذه المسألة عند القاضي عبد الجبار كثير الجهد ليرد عليها – من وجهة نظره –بناء على تأصيلهم السابق فيقول "إن الختم علامة يفعلها تعالى في قلبهم؛ لتعرف الملائكة كفرهم، وأنهم لا يؤمنون فتجتمع على ذمهم، ويكون ذلك لطفًا لهم، ولطفًا لمن يعرف ذلك من الكفار، أو يظنه فيكون أقرب إلى أن يقلع عن الكفر"[٣].

على أن القاضي عبد الجبار، ربما يزيد الجواب بشيء من التفصيل في غير هذا الموضع؛ ليؤكد على هذا قائلا: " إن الختم في اللغة لا يعقل منه القدرة على الكفر، ولا الكفر، وإنما يستعمل في العلامة الحاصلة بنفس الخاتم وما شاكلها، وإن كان قد يراد به انتهاء الشيء، وقد يراد به الحكم عليه بأنه لا ينتفع بما سمعه، كما يقال فيمن نوظر كثيرًا، وبين له طويلًا، ختمت عليك أنك لا تفهم...، إلى ما يشاكله" [٤].

فالناظر لتوجيهات دلالة اللفظ عند القاضي عبد الجبار يدرك مدى حرصه الشديد لتحويل نسبته لله تعالى من الحقيقة الى المجاز في كونه حكمًا، أو علامة، أو كونه يصل إلى النهاية في عدم الهداية.

ومن ثّم فقد صّرح صاحب الكشاف بهذا قائلًا "لا ختم ولا تغشية ثَم على الحقيقة، وإنما هو من باب المجاز، ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه، وهما الاستعارة، والتمثيل.

---

(١) سورة البقرة جزء من الآية ٧.
(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبد الجبار ص١٤.
(٣) المصدر السابق الصفحة نفسها.
(٤) متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار، ج١ص١٢٢ وما بعدها، والحق: أن القاضي عبد الجبار أفرد هذه المسألة كثيرًا في مناظراته العقلية؛ للرد على المخالفين له بطريق الفناقل – فإن قال– قلنا –، وهذا في كتابه سالف الذكر على عكس كتابه تنزيه القرآن عن المطاعن والذي كان مختصرًا إلى حدٍ ما عن متشابه القرآن.

أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم؛ لأن الحق لا ينفذُ فيها، ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه، واستكبارهم عن قبوله واعتقاده. وأما التمثيل فأن تمثل بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم، والتغطية"[(١)].

ولم يكتف الزمخشري في نسبة القول مجازًا لله تعالى بل إنك لتجده يصرح بأن الخاتم في الحقيقة كما يقول: " فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة، أو الكافر إلا أن الله سبحانه لما كان هو الذي أقدره، ومكنه اسند إليه الختم، كما يسند الفعل إلى المسبّب"[(٢)].

وسيرًا في الاتجاه ذاته يرى أصحاب المذهب الاعتزالي الطبع هكذا.

وما يدل على أن الله تعالى يمنع الكافر من الإيمان كقوله تعالى: ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[(٣)].

يجيب عليه القاضي عبد الجبار قائلًا: "أنا قد بينا أن المطبوع على قلبه، وبنيا الفائدة في ذلك، وأنه لطف للعباد إذا علموا أن الملائكة تعلم به من يستحق الذم فتذمه بذكر أحواله"[(٤)].

لكن من الممكن أن يقال للقاضي عبد الجبار: إنه طبع على قلوبهم؛ لأنه تعالى علم أن الصلاح أن يطبع على قلوبهم؛ لتقدم كفرهم.

هنا يقول القاضي عبد الجبار: "هذا يدل على أن الطبع لا يمنع من الإيمان؛ لأنه يجوز أن يكون الصلاح للمرء على جهة الابتداء، وعند فعل من الأفعال، أن يمنعه مما فيه نجاته ومنفعته"[(٥)].

---

(١) الكشاف، للزمخشري، ج١ص٦٢.

(٢) الكشاف، للزمخشري ج١ ص٦٤، هذا ولقد عدّد صاحب الكشاف وجوهًا كثيرة يمكن أن يرد الختم إليها في النص الكريم كلها تمنع أن يكون نسبة اللفظ لله تعالى على سبيل الحقيقة، مها كما يقول: إنهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن، ولا تغني عنهم الآيات والنذر، ولا تجدي عليهم الألطاف المحصلة ولا المقربة إن أعطوها فلم يبق بعد استحكام العلم بأنه لا طريق إلى أن يؤمنوا طوعًا واختيارًا...، أو أن يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكمًا في قولهم" قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه"

(٣) سورة النساء جزء من الآية ١٥٥.

(٤) مشابه القرآن، القاضي عبد الجبار، ج١ ص٢٨٢.

(٥) المصدر السابق ص٢٨٤.

وسوف يكون لزامًا على أهل الاعتزال بمقتضى فكرتهم الثابتة على عدم إسنادهم خلق الإيمان، والكفر، والختم، والطبع لله على الحقيقة أن يصرفوا كل ما جاء في النص الإلهي مدللين على هذا المعنى؛ ولتنظر ماذا يقولون في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾[١].

إذ يقول القاضي عبد الجبار: "إنه تعالى لعنهم، وحكم عليهم بأن قلوبهم قاسية؛ لشدة تمسكهم بالكفر، وهذا كما يقول أحدنا لمن ينسب غيره إلى الفسق، والكفر، جعلته كافرًا، وفاسقًا؛ سيما إن كان قوله فيه مؤثرًا، وقد يحتمل أن بذلك أنه تعالى لما أضلهم عن الزيادات من الهدى الذي يخص بها من قد اهتدى، وآمن، وسلبه الخواطر، والألطاف؛ لعلمه بأنه لا يؤمن عندهما، جعله قاسي القلب؛ لشدة تمسكه بالكفر الذي هو عليه"[٢].

إذن فالحكم بالقسوة على القلوب، أو خذلانهم، ومنعهم الألطاف، هو دلالة النص عند المعتزلة.

أما قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾[٣]، فجوابهم عن ذلك" أن المعلوم من حال الكفار في زمن رسول الله ﷺ، أنهم لم يكونوا بهذه الصفة، وكيف يجوز ذلك، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ، كان يدعوهم، وينذرهم، ويحذرهم، ويبعثهم على تدبير القرآن، ولا يجوز أن يكون هذا حالهم، وقد مُنعوا أن يفقهوه، وصُرفوا عن أن يسمعوه؛ لأن ذلك يتناقض"[٤].

---

(١) سورة المائدة جزء من الآية ١٣.

(٢) متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار، ج١ ص٢٨٨، وينظر: في ذلك، تنزيه القرآن المطاعن، للقاضي ص١١٢، الكشاف، للزمخشري ج١ ص٥٤٥، إذ يؤكد على هذا المعنى فيقول "خذلناهم، ومنعناهم الألطاف، حتى قست قلوبهم، او أملينا لهم، ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست ".

(٣) سورة الانعام جزء من الآية ٢٥.

(٤) متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار، ج١ ص٣١١، وينظر: تنزيه القرآن عن المطاعن ص١٣٨، والكشاف، للزمخشري، ج١ ص٦١٩، هذا ولقد شفع أهل الاعتزال في تأويلهم لهذا المعنى بما يذكرونه من سبب النزول، في أن قومًا من الكفار كما عدّهم صاحب الكشاف هم أبو سفيان، والوليد، والنضر، وعتبة، وشيبة، وأبو جهل كانوا يرصدون رسول الله ﷺ ليقفوا على مكانه، ويستدلوا على موضعه؛ فيؤذنه بالقول، والفعل؛ فكان=

وكأنَّ القاضي عبد الجبار يريد أن يلوح إلى أن هذا الأمر من الله تعالى على جهة التشبيه بأنه كَنٌ على قلوبهم، ووقرٌ في آذانهم، وهذا الأمر يُعرف مجازيًا، وعليه فإذا حصل هذا التأويل المجازي لكل هذه الآيات الكريمة، ومثيلاتها – في النص الإلهي – عند أهل الاعتزال، وصرفها عن كونها على سبيل الحقيقة من جهة الله تعالى في خلق الإيمان، والكفر، والختم، والطبع.

فقد تبين على سبيل القطع أنها تأتي عندهم على سبيل المجاز أيًا كان توجيه دلالة النص عندهم كما سبق ذكره بالبحث.

تعقيب

لكي نفهم موقف أهل الاعتزال تجاه هذه المسألة، ينبغي علينا أن نعلم أن انبثاق هذه الرؤية لم يخرج عن المنهج الذي أتخذه المعتزلة، والأصول التي قامت عليها اعتزاليتهم.

فالمنهج العقلي عندهم له السيادة والسلطان في أرائهم، وهو المنهج الأصيل والمقدم يقول عبد الجبار فاعلم أن الدلالة أربعة حجة العقل، والكتاب، والسنة، والإجماع ومعرفة الله تعالى لا تنال إلا بحجة العقل"[(١)].

بل إن تقديم العقل على النقل هو طعن في العقل؛ لأنه من باب تقديم الفرع على أصله وهذا لا يجوز عند المعتزلة.

وقد ترتب على تقديم العقل على النقل أمور عديدة منها حكمهم بوجوب معرفة الله تعالى عقلًا، ثم حكمهم بحسن الأفعال وقبحها عقلا، ويترتب على ذلك أن الأنسان يخلق فعله الاختياري؛ ليمدح أو يذم عليه في الدنيا، ويثاب أو يعاقب عليه في الأخرة، على أن ثواب الله، أو عقابه لعباده على ما كلفهم من مشاق يستلزم اللطف بهم.

= ﷻ يُحدث فيهم شواغل؛ كالنوم، وغيره؛ فيذهبون عما يريدون، ويفوتهم ما يحاولون" الكشاف، ج١ ص٦١٩، ومتشابه القرآن ج١ ص٣٣١٢.

(١) شرح الأصول الخمسة القاضي عبد الجبار ص٨١

من هنا لجأ المعتزلة إلى تأويل كل نص لا يتوافق مع العقل؛ إذ أن الخبر عندهم فرع، وإذا اختلف الفرع مع الأصل فلابد من تأويل الفرع–النص–.

أما من جهة الأصول الخمسة عندهم فالمسألة وثيقة الصلة بها؛ فأصل العدل يترتب عليه خلق الإنسان لفعله الاختياري، ثم يكون الوعد والوعيد، لمجازاة المحسن بإحسانه، ومعاقبة المسيء بإساءته، وهذا هو العدل من الله تعالى لعباده.

ثم إذا تمادى العبد في المعصية، وارتكب كبيرة ولم يتب منها فهو في منزلة بين المنزلتين عندهم.

إذن نتأكد بما لا يدع مجال للشك أن رؤية المعتزلة لهذه المسألة جاءت موافقة لأصوله الخمسة، ومتفقة مع مبادئهم ومنهجهم العقلي.

بيد أن هذه الرؤية التي يمكن أن يُوجَّهَ إليها كثيرٌ من التساؤلات؛ لابد أن تفحص بعين الناقد البصير من قِبل أهل السنة؛ لتوضيح ما هم عليه من وجهة نظرهم؛ ولبيان موقفهم من رؤية المعتزلة.

وقبل بيان رؤية أهل السنة؛ لابد من تحرير محل النزاع؛ ليتضح مناط الخلاف.

تحرير محل النزاع:

باديءٍ ذي بدأ أقول: إنه لا خلاف بين أهل السنة وبين المعتزلة في ورود الهدى، والضلال على دلالات غير خلق الإيمان، والضلال.

إنما الخلاف بينهم في المسألة قائم على أن أهل الاعتزال ينكرون ورود الهدى، والضلال، والختم، والطبع، باعتباره خلقًا على الحقيقة من جهة الله تعالى، وما نطقت به آيات الذكر الحكيم إنما هو مجازٌ على عمومه باعتباره لطفًا، أو إرشادًا وبيانًا، أو حكمًا منه سبحانه وتعالى على عباده، أو ثوابًا وطريقًا إلى الجنة، وهذا خلاف ما ارتآه أهل السنة من كون خلق الهدى، والضلال، والختم، والطبع الوارد ذكره في آيات الذكر الحكيم قد يكون على جهة الحقيقية من الله تعالى.

ثانيًا: رؤية أهل السنة:

في مقابلة رؤية المعتزلة لمسألة الهدى، والضلال، والختم، والطبع، وارتباطها بمسألة أفعال العباد، ارتباطًا وثيقًا.

تأتي رؤية أهل السنة لذلك في خطوات معاكسة؛ لا سيما في رؤيتهم لمسألة خلق الله لأفعال العباد.

هنا يفصّل رجال أهل السنة توجيه دلالات تلك الألفاظ بحسب ما يقتضيه سياقها الصحيح، وبناءً على هذا يقول صاحب التمهيد": فإن قال قائل: فهل تقولون: إن الله يهدي المؤمنين، ويضل الكافرين؟ قيل له: أجل فإن قال: وما معنى هدايته للمؤمنين؟ قيل له: يهديهم بأن يخلق هداهم، وينور بالإيمان قلوبهم، وقد يهديهم أيضًا بأن يشرح صدورهم، ويتولى توفيقهم له، وإعانتهم عليه، وتسهيله لهم السبل إليه، كل ذلك هداية منه لهم، وقد يهديهم أيضًا في الآخرة الى الثواب، وطريق الجنة، وذلك هدى لهم من فعله"[1].

ومن ثّم فالهداية قد تكون خلقًا للإيمان، أو توفيقًا وشرحًا، أو ثوابًا وطريقًا الى الجنة.

ثم ماذا عن دلالات الضلال؟! يقول القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ): "معنى إضلاله الكافر بأن يخلق ضلالهم قبيحًا فاسدًا...، وقد يضلهم بترك توفيقهم، وتضيق صدورهم، وإعدام قدرهم على الاهتداء، وقد يضلهم عن الثواب وطريق الجنة في الآخرة، كل ذلك إضلال لهم"[2].

ويشفع إمام الحرمين هذه الدلالات بالنص الإلهي فيقول: "﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا ﴾[4]، واعلم أن الهدى في هذه الآي لا يتجه إلا على خلق الإيمان، وكذلك لا يتجه حمل الإضلال على غير خلق

(١) التمهيد، للإمام القاضي أبي بكر الباقلاني، ص٣٣٥، عني بنشره الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، مطبعة، المكتبة الشرقية، بيروت، سنة ١٩٥٧م.

(٢) التمهيد، الباقلاني، ص٣٣٥.

(٣) سورة يونس الآية ٢٥.

(٤) سورة الانعام جزء من الآية ١٢٥.

الضلال، ولسنا ننكر ورود الهداية في كتاب الله عز وجل على غير هذا المعنى الذي رمناه فقد يرد، والمراد به الدعوة، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1]، ومعناه وإنك لتدعو، وقد ترد الهداية ويراد بها إرشاد المؤمنين إلى مسالك الجنان، والطرق المفضية إليها يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾[2]"[3].

وبعد أن أبان الإمام البغدادي (ت٤٢٩هـ) عن تقسيم الهداية من الله تعالى إلى وجهين عند أصحابه، ذكر الوجه الثاني قائلًا: "هداية الله تعالى لعباده، خلقه في قلوبهم الاهتداء كما ذكره الله ﷻ في قوله: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ﴾[4]، فالهداية الأولى من الله تعالى شاملة جميع المكلفين، والهداية الثانية منه خاصة للمهتدين...، والإضلال من الله ﷻ لأهل الضلال على معنى خلق الضلالة عن الحق في قلوبهم، وعلى ذلك يحمل قوله تعالى: ﴿ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾[5]، فمن أضله فبعدله، ومن هداه فبفضله، هذا قول أهل السنة"[6].

---

(١) سورة الشورى جزء من الآية ٥٢.

(٢) سورة محمد الآيات ٤،٥.

(٣) الإرشاد، لإمام الحرمين الجويني ص ٢١١،٢١٢ تحقيق/ محمد يوسف موسى، علي عبدالمنعم عبدالحميد، نشر مكتبة الخانجي ط (١٣٦٩هـ-١٩٥٠م)، وينظر: شرح الإرشاد، لأبي بكر بن ميمون ص٤٢٩، وما بعدها تحقيق د/ أحمد حجازي السقا، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة مصر سنة (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، وشرح الإرشاد في أصول الاعتقاد، لمظفر بن عبد الله المصري المشهور بالمقترح ص٥٧٦، وما بعدها، تحقيق د/ نزيهة إمعاريج، بدون تاريخ، وأبكار الأفكار، للإمام سيف الدين الآمدي، ج٢ ص١٩٣، وما بعدها، تحقيق د/ أحمد المهدي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ط٤(١٤٢٣هـ-٢٠١٢م)، وشرح المقاصد، للإمام سعد الدين التفتازاني، ج٣ ص٢٢٩، تحقيق/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢ سنة٢٠١١م.

(٤) سورة الانعام جزء من الآية ١٢٥.

(٥) سورة المدثر جزء من الآية ٣١.

(٦) أصول الدين، للإمام البغدادي، ص١٤٠،١٤١، مطبعة الدولة، إستانبول، ط(١٣٤٦هـ-١٩٢٨م).

وعلى هذا فالهداية، والإضلال عند أهل السنة حقيقة في خلق الإيمان، والضلال، ومجازٌ فيما سوى ذلك.

وهنا يدلي صاحب الأبكار بالدليل العرفي عند الأصحاب في شأن ما أورده في تخصيص بعض الآيات بخلق الإيمان، والإضلال على جهة الحقيقة فيقول: "فهو أنه لو قال القائل: فلان هداه الله؛ فإنه لا يتبادر إلى الفهم منه عند إطلاقه غير خلق الهدى، وكذلك إذا قال أضله الله لا يتبادر إلى الفهم غير خلق الضلال"(١).

وفي السياق نفسه يشير الإمام أبو المعين النسفي (ت٥٠٨هـ)، إلى رؤيته باختصار فيقول: "لما ثبت أن الله تعالى خلق أفعال العباد؛ فكان هو الذي خلق فيهم فعل الاهتداء، وفعل الضلال، فوجد منه الهدى، والإضلال"(٢).

إذن فأهل السنة من الأشاعرة، والماتريدية متفقون على أن الهداية، والإضلال من الله تعالى لعباده هي خلقٌ للإيمان، والضلال في قلوبهم فيما حددوه من نصوص إلهية تشير إلى هذا المعنى (٣).

ثم ماذا عن الختم، والطبع، وتوجيه دلالة قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ ﴾(٥)، وقوله

---

(١) أبكار الأفكار، الآمدي، ج٢ ص١٩٤.

(٢) تبصرة الأدلة في أصول الدين، للإمام أبي المعين النسفي، ج٢ ص٩٨٣ تحقيق د/ محمد الأنور حامد عيسى، نشر المكتبة الأزهرية للتراث ط١ (٢٠١١م)، ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن كلام الماتريدية في هذه المسألة جاء على نحو ما أشار اليه الإمام أبو المعين النسفي مختصرًا، وينظر: في ذلك البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين، للشيخ الإمام نور الدين الصابوني، ص ١٣٧، تحقيق د/ فتح الله خليف، دار المعارف، مصر، والاعتماد في الاعتقاد، للإمام أبي البركات النسفي ص٣٣٧، تحقيق د/ عبد الله محمد عبد الله، نشر المكتبة الازهرية للتراث ط١(١٤٣٢هـ-٢٠١٢م).

(٣) لأنه لا شك أن هناك بعض النصوص التي تشير إلى معانٍ اتفق فيها أهل السنة مع المخالفين في توجيه دلالاتها كما أشرنا إلى ذلك

(٤) سورة البقرة جزء من الآية ٧.

(٥) سورة النساء جزء من الآية ١٥٥.

تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾[1]، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾[2].

هنا يقول صاحب الإرشاد: "إن الرب تعالى تمدح بهذه الآيات، وأنبأ بها عن اقتهاره[3]، واقتداره على ضمائر العباد، وإسرارهم، وبين أن القلوب بحكمه يقلبها كيف يشاء وصرح بذلك في قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[4]"[5].

ومعنى ذلك أن الختم، والطبع ينتسب إلى الله تعالى على جهة الحقيقة.

وفي السياق نفسه يقول الإمام الشهرستاني(ت٥٤٨هـ): "والطبع، والفتح، والختم، والهداية، والضلال ينتسب إلى الله تعالى؛ بشرط أن يكون أحق الاسمين به أحسن الاسمين: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[6]، وأولى الفعلين بحكمه، وتقديره أولى الفعلين وجودًا، وأجدرهما حصولًا: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[7]، اللهم من أحسن؛ فبفضلك يفوز، ومن أساء؛ فبخطيئته يهلك"[8].

ويؤكد الإمام الرازي(ت٦٠٦هـ) على ظهور المسألة عند من يرى بأن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى فيقول: "أما القائلون بأن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى فهذا الكلام على مذهبهم ظاهر، ثم لهم قولان، منهم من قال: الختم هو

(١) سورة الأنعام جزء من الآية ٢٥.
(٢) سورة المائدة جزء من الآية ١٤.
(٣) يُقصد بذلك الغَلَبة، كقوله تعالى: " وهو القاهر فوق عباده".
(٤) سورة الأنعام جزء من الآية ١١٠.
(٥) الإرشاد، للجويني، ص٢١٣،٢١٤.
(٦) سورة الأعراف جزء من الآية ١٨٠.
(٧) سورة آل عمران جزء من الآية ٢٦.
(٨) نهاية الأقدام في علم الكلام، للإمام عبد الكريم الشهرستاني ص٤٠٨، حرّره وصحّحه ألفريد جيوم، نشر مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ.

خلق الكفر في قلوب الكفار، ومنهم من قال: خلق الداعية التي إذا انضمت إلى القدرة صار مجموع القدرة معها سببًا موجبًا لوقوع الكفر"(١).

أما صاحب الأبكار فيجعل وجه الاحتجاج على مذهب أهل الحق هو: "أن خلق الضلال مانع من الإيمان، والهدى، بمعنى أنه يتعذر الجمع بينهما، والختم، والطبع، والأكنة في اللغة موانع على الحقيقة؛ وإنما سميت بذلك: لكونها مانعة، وخلق الضلال في القلوب مانع من الهدى، فصح تسميته بهذه الأسماء؛ إذ الأصل إنما هو الاطراد، اللهم إلا أن يمنع مانع، والأصل عدمه؛ فمن ادعاه يحتاج إلى البيان"(٢).

وثمة تأكيد من الإمام الماتريدي(ت٣٣٣هـ) في قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ على رؤية أهل السنة فيقول: "عندنا خلق ظلمة الكفر في قلبه...، أو خلق الختم، والطبع على قلبه إذا فعل الكفر"(٣).

وعليه فمذهب أهل السنة يرى أن الختم، والطبع هو خلق الضلال في القلوب؛ مثل ما أشار إليه في توجيه إحدى دلالات الهدى بأنها خلقٌ للإيمان، فالله ﷻ يخلق الإيمان، والكفر في قلوب العباد حقيقة؛ لا سيما أن هذه الرؤية ترتبط مع رؤيتهم في خلق الله لأفعال عباده.

لكن مما هو جدير بالذكر أن رؤية أهل السنة لهذه المسألة قد نحا نحوها أهل الظاهر، وأهل التصوف، فهم يرون أن الله ﷻ هو الذي يتفضل على بعض عباده بالهداية، والتوفيق، والعون على الخير، والتيسير له، وهذا هو

---

(١) مفاتيح الغيب، للإمام الرازي، ج٢ ص٢٩١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣(١٤٢٠هـ).

(٢) أبكار الأفكار، للآمدي، ج٢ ص٢٠٠، وينظر: في ذلك شرح المواقف حينما يدلل الإمام الجرجاني على رؤية أهل الحق بنفس هذا التوجيه كما هو عند الإمام الآمدي، ينظر شرح المواقف، السيد الشريف الجرجاني، ج٨ ص١٨٧، تحقيق / محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، وينظر: شرح المقاصد، للتفتازاني، ج٣ ص٢٣٠.

(٣) تأويلات أهل السنة، للإمام أبي منصور الماتريدي ج١ ص٣٧٦ تحقيق د/ مجدي باسلوم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

الذي أعطاه الله ﷻ للملائكة، والمهتدين من الأنس، والجن، ومنعه الكفار من الطائفتين، والفاسقين الذين أضلهم الله بتضيق صدورهم عن قبول الإيمان، وختم على قلوبهم، وطبع عليها؛ فامتنعوا بذلك من وصول الهدى إليه"[١].

تلك هي الحقيقة الساطعة التي استقرت في نفوس أهل السنة لرؤيتهم لمسألة الهدى، والضلال، والختم، والطبع.

ولذا تصدوا للمخالفين لهم في المسألة ذاتها بالرد عليهم.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد الظاهري (ت٤٥٦هـ) ص٢٦-٣٠، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ، وينظر في ذلك من كتب أهل التصوف: اللمع، لأبي نصر السراج الطوسي ص١٠٩ تحقيق د/ أحمد عبد الرحيم السايح، توفيق علي وهبة، نشر مكتبة الثقافة الدينية ط(١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)

موقف أهل السنة من رؤية المعتزلة:

بعد أن أبان أهل السنة رؤيتهم للمسألة، كان لزامًا عليهم أن يتصدوا للمعتزلة في توجيههم دلالات النص الإلهي الكريم.

ههنا يقول الإمام الأشعري (ت٣٢٤هـ): "يقال للمعتزلة: أليس قد قال الله تعالى:﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾(١)، فأخبر أن القرآن هدى للمتقين؛ فلابد من نعم. يقال أو ليس قد ذكر الله ﷻ القرآن، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًى ﴾(٢)، فَخَبَّر أن القرآن على الكافرين عمى؛ فلابد من نعم. يقال لهم: فهل يجوز أن يكون من خبر الله ﷻ أن القرآن له هدى وهو عليه عمى؟ فلابد من لا، يقال لهم فكما لا يجوز أن يكون القرآن عمى على من أخبر الله تعالى أنه له هدى، كذلك لا يجوز أن يكون القرآن هدى لمن أخبر الله أنه عليه عمى"(٣).

فالإمام الأشعري يعمد إلى جواب المعتزلة من خلال إقرارهم، وعليه إذا كان هذا فيكون هكذا.

فإن قال المعتزلي لمَ لا تكون الهداية والإضلال حكمًا، وتسمية كما قلنا؟!

هنا يرد صاحب التمهيد فيقول: "لو كان ذلك على ما قلته لم يكن لله على المؤمنين في هدايته لهم إلا ما لبعضهم على بعض؛ لأنا قد يسمي بعضنا بعضًا بهذه التسمية، وكذلك كان يجب أن يكون إضلال بعضنا بعضًا؛ كإضلال الله الظالمين، وهذا خلاف ما اتفق عليه المسلمون؛ لأن الله عز وجل قد امتن على المؤمنين بهدايته لهم فقال﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾(٤)، فلو كانت هدايته لهم هي الحكم والتسمية؛

---

(١) سورة البقرة الآيات ١،٢.

(٢) سورة فصلت جزء من الآية ٤٤.

(٣) الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، ص٢٠٩،٢١٠، تحقيق د/ فوقية حسين، دار الأنصر للطباعة والنشر، ط١(١٣٩٤هـ-١٩٧٧م)، وينظر في ذلك: مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، تأليف: محمد ابن الحسن بن فورك، ص١٠٣، وما بعدها، تحقيق د/ أحمد عبد الرحيم السايح، نشر: مكتبة الثقافة الدينية ط١(١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م).

(٤) سورة الحجرات جزء من الآية ١٧.

لكانوا قد منّوا على أنفسهم بهذه المنّة، ولكان رسول الله ﷺ قد منّ بها عليهم كمنّ الله إذ قد سماهم بذلك وحكم لهم به، وهذا خلاف الإجماع"[1].

ولئن قال رجال الاعتزال: لمَ لا يجوز حمل الهداية على الثواب، وحمل الضلال على العقاب؟!

هنا يجيب الإمام البغدادي(ت٤٢٩هـ)، قائلًا: "لكان كل من أقام الحد على الزاني، والسارق، والقاتل، والقاذف، وشارب الخمر قد أضلهم؛ لأنه قد جازاهم على ضلالاتهم، وفسقهم"[2].

ولا شك أن هذا الجواب من البغدادي يعود إلى بداهة العقل عند الجميع، لكن من الممكن أن يقال عند المعتزلة: ولمَ لا يجوز كون الهدى والضلال على سبيل الدعوى؟!

لأن مفاد هذا الممكن لا يستقيم عند صاحب الإرشاد والذي يقول" إنه تعالى فصل بين الدعوى، والهداية فقال: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[3]، فخصص الهداية، وعمم الدعوة"[4].

فإن قالت المعتزلة: ولمَ لا يجوز حملها على الإرشاد، والهداية لطريق الجنة؟! هنا يبرز صاحب تبصرة الأدلة جوابه قائلًا: "لأنه تعالى قال: ﴿ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[5]، ولا يهدي جميع الخلق إلى الجنة، بل لو فعل ذلك؛ لكان

---

(١) التمهيد، الباقلاني، ص٣٣٦، وينظر ما قاله البغدادي بصدد هذا الجواب من جهة اللغة؛ إذ يقول:" لأن من سمى غيره ضالًا، أو نسبه إلى الضلالة فإنما يقال فيه إنه ضللّه بالتشديد، ولا يقال: أضله" ينظر أصول الدين، البغدادي، ص١٤١، وينظر في ذلك: أبكار الأفكار، الأمدي، ج٢ ص١٩٨، تبصرة الأدلة، النسفي، ج٢ ص٩٨٥.

(٢) الفرق بين الفرق، الإمام البغدادي ص٣٤٠،٣٤١، تحقيق د/ محمد محيي الدين عبدالحميد، نشر مكتبة صبيح، بدون تاريخ.

(٣) سورة يونس الآية ٢٥.

(٤) الإرشاد، الجويني، ص٢١٢، وينظر في ذلك: المواقف، الإمام الإيجي(ت٧٥٦هـ)، ج٣ ص٢٤٢، وما بعدها تحقيق/عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١(١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

(٥) سورة الأنعام جزء من الآية ١٤٩.

عندهم سفيهًا، وقال تعالى: ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾(١)، وهذا لا يتصور في هداية طريق الجنة(٢).

وعليه فالهداية التي ترتبط بالمشيئة لا يجوز تأويلها؛ لتكون طريقًا للجنة؛ لأن معرفة هذا الطريق لا يعلق على المشيئة.

ويقول الشيخ الماتريدي بصدد تأويل المعتزلة لقوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾(٣): "قد قلتم: إنه أراد أن يضلهم، ثم يقال لهم تقولون إنه أراد أن يهدي الخلق كلهم، ويشرح صدورهم للإسلام، ثم تقولون: إنه يضل طريق الجنة في الآخرة؛ فهذا على زعمكم جور؛ لأنه أراد في الدنيا أن يهديهم، ويريد في الآخرة –أيضًا– لهم أن يضلهم عن طريق الجنة لأولئك بعينهم؛ فذا جور على قولكم"(٤).

ولعل أبرز ما قيل في دفع رؤية أهل الاعتزال لمسألة الضلال ما قاله الإمام الأشعري في مناظرته العقلية لهم إذ يقول: "يقال لهم: أضل الله تعالى الكافرين عن الإيمان، أو عن الكفر؟!

فإن قالوا: عن الكفر: قيل لهم، فكيف يكونون ضالين عن الكفر ذاهبين عنه، وهم كافرون؟!

وإن قالوا: أضلهم عن الإيمان، تركوا قولهم. وإن قالوا: نقول وإن الله أضلهم، ولم يضلهم عن شيء، قيل لهم ما الفرق بينكم وبين من قال: إن الله هدى المؤمنين لا إلى شيء؟ فإن استحال أن يهدي المؤمنين لا إلى الإيمان، فما أنكرتم من أنه محال أن يضل الكافرين لا إلى الإيمان"(٥).

---

(١) سورة فاطر جزء من الآية ٨.

(٢) تبصرة الأدلة، النسفي، ج٢ ص٩٨٦، وينظر ما قاله إمام الحرمين في الإرشاد ص٢١٢ح إذ يقول" إن الله = تعالى علق الهداية على مشيئته، وإرادته، واختياره، وكل مستوجب الجنان، فحتم على الله تعالى عند المعتزلة أن يدخله الجنة، وينظر: ما قاله الشيخ الصابوني في البداية من الكفاية ص١٣٨ يقول لو كان الهدى بيان الطريق لم تتحقق القسيمة؛ لأن بيانه عام في حق الكل".

(٣) سرة الأنعام جزء من الآية ٢٥.

(٤) تأويلات الماتريدي، للشيخ أبي منصور الماتريدي، ج٤ ص٢٥٤.

(٥) الإبانة عن أصول الديانة، الشيخ الأشعري، ص٢١٢،٢١٣، والحق: أن الشيخ قد أفاض في كتاب الإبانة نقده لأهل الاعتزال في هذه المسألة، وقد ذكر هذا النقد في ثلاثة =

فهذه الصياغات – ومثيلاتها الكثيرة – التي أدلى بها رجال أهل السنة تبين ضعف رؤية أهل الاعتزال فيما هم عليه من توجيه للنص الإلهي الكريم، بينما نظر إليها رجال أهل السنة على كونها حقيقة في خلق الهدى، والضلال.

عندئذ يتأتى علينا أن نسأل رجال المعتزلة، ولمَ العدول من الحقيقة إلى المجاز عندكم في النص الذي نشير إليه في خلق الهدى، والضلال؟!

وهنا يعبر الإمام السعد قائلًا: "والعدول إلى المجاز، إنما ليصح عند تعذر الحقيقة، ولا تعذر، وبعض المواضع من كلام الله تعالى يشهد للمتأمل بأن إضافة الهداية، والإضلال إلى الله تعالى ليست إلا بطريق الحقيقة"(١).

فمذهب أهل الحق أنه لا تعذر في معنى النص من أجل حمله على المجاز كما تقول المعتزلة، الأمر الذي لم يكن خيرًا لهم.

كما يشير الإمام النسفي إلى ذلك في تبصرة الأدلة فيقول: "لو تلقت المعتزلة ما نطق به كتاب الله تعالى من إضافة الهداية، والإضلال إليه بالقبول، وتعلموا من أهل الحق دفع ما تتمسك به الثنوية من الشبهة، وهو أن الحكيم لا يفعل القبيح؛ لكان خيرًا لهم من أن تلقنوا من الثنوية هذه الشبهة، وتشبثوا بها، وجعلوها قانونًا لكتاب الله فصرفوا مالا يوافقها إلى وجوه مستكرهة، وأولوه تأويلات غير منقادة فحرفوا الكلم عن مواضعها، وأزالوا النصوص عن مواردها، وراموا تسوية حكم الربوبية على ما خالوه عقلًا، وظنوه علمًا"(٢).

ثم نأتي إلى آيات الختم، والطبع، وما ورد فيها من تأويلات للمعتزلة، وصرفها من الحقيقة إلى المجاز في جهة الله ﷻ.

هـهنا يبرز اتجاه أهل الحق ببيان مخالفة ذلك بالتمحيص والنقد.

يقول إمام الحرمين(ت٤٧٨هـ): "ولا خفاء بسقوط هذا الكلام، فإن الرب تمدح بهذه الآيات، وأنبأ بها عن اقتهاره، واقتداره على ضمائر العباد، وإسرارهم، وبين أن القلوب بحكمه يقلبها كيف يشاء...، فكيف يستجاز حمل

=عشر مسألة – كما هو المتبع في منهج الكتاب – كلها تبين ضعف، وزيف رؤية المعتزلة في المسألة من وجهة نظره، وهو الحق فيما أرى؛ وذلك لاتساقها مع العقل، والنقل، والفطرة أيضًا. ينظر كل هذه المسائل في الإبانة ص٢٠٩ إلى ص٢٢٤.

(١) شرح المقاصد، التفتازاني، ج٣ ص٢٣١.

(٢) تبصرة الأدلة النسفي ج٢ ص٩٨٨.

هذه الآيات على تسمية، وتلقيب؟ وكيف يسوغ ذلك للّبيب؟ والواحد منا لا يعجز عن التسميات، والتلقيبات، فما وجه استيثار الرب بسلطانه"(١).

وحينما يناقش الإمام الرازي أهل الاعتزال في منعهم حمل الكن والوقر– مرادفات الختم والطبع – على حقيقتها بعد بيان حجتهم في ذلك فيقول لهم: "والجواب عن الوجوه التي تمسكوا بها في بيان أنه لا يمكن حمل الكنان، والوقر على أن الله تعالى منعهم عن الإيمان، وهو أن نقول: بل البرهان العقلي الساطع قائم على صحة هذا المعنى؛ وذلك لأن العبد الذي أتى بالكفر إن لم يقدر على الإتيان بالإيمان، فقد صح قولنا إنه تعالى هو الذي حمله على الكفر، وصده عن الإيمان" (٢).

ومفاد هذا الكلام عند الإمام الفخر هو أن بداهة العقل تدل على ارتباط هذا بذاك. ولئن ادعى أهل الاعتزال أن آيات الختم، والطبع ما هي إلا قطع الألطاف عن الكفار.

فها هو صاحب الأبكار يحاورهم قائلًا" فيه جوابان: الأول: منع صحة ذلك لغة؛ فإنه لا يطلق الطبع، والختم، وتغشية الأكنة على قطع الألطاف، وتركها لغة.

الثاني: هو أن الألطاف: إما أن تكون ممكنة، أو غير ممكنة، فإن كانت ممكنة، فعند الخصم يمتنع قطعها؛ لكونها واجبة على الله تعالى عنده، وإن لم تكن ممكنة، فلا يكون قطعها مضافًا إلى الله تعالى، والختم، والطبع، وتغشية الأكنة في النصوص مضاف إلى الرب تعالى، والمضاف إلى الله تعالى، غير ما ليس بمضاف إليه"(٣).

---

(١) الإرشاد، الجويني، ص٢١٣،٢١٤.

(٢) مفاتيح الغيب، الإمام الرازي، ج٢ ص٥٠٥، وينظر: تأويلات أهل السنة، للشيخ أبي منصور الماتريدي، ج٤ ص٤٦، ج٧ ص٥٤ وما بعدها، إذ يقول" وجعلنا على قلوبهم أكنة" لا يخلو إضافة ذلك إلى نفسه من أن يكون خلق منهم فعل الكفر، أو خلق الظلمة التي في قلوبهم، يعني ظلمة الكفر؛ لأن ظلمة الكفر تستر وتغطي كل شيء، ونور الإيمان ينير منه كل شيء؛ فإضافة الفعل إليه لا تخلو من أحد هذين الوجهين، إما لخلق فعل الكفر منهم ففيه دلالة خلق أفعالهم، وإما لخلق ظلمة الكفر في قلوبهم، وفيه رد قول المعتزلة لإنكارهم خلق فعل العباد

(٣) أبكار الأفكار، الآمدي، ج٢ ص٢٠٣.

ومن ثّم فالمتأمل لجواب الإمام الآمدي يلحظ اعتماده على منحى استدلالي سديد يقوم على إبراز فساد قول المخالف لكلا الاتجاهين؛ إذ أنه ما دام اللطف ممكنًا، أو غير ممكن فالدليل قائم على بطلان قولهم، علاوة على مخالفة اللغة التي تؤكد هذا.

لكن ثمة ملاحظة أخرى يمكن التنبيه إليها وهي أن الإمام الآمدي قد انفرد –مع قليل كالجويني من قبله – في حديثه عن الختم، والطبع بالتبويب له مستقلًا عن الهدى، والضلال، على عكس جل أئمة أهل السنة؛ إذ جعلوا الحديث عن الختم، والطبع في أثناء حديثهم عن الهدى، والضلال؛ حيث إن الختم، والطبع، والأكنة، كلها أنواع من الضلال(١).

لكن من الممكن أن يقال عند المعتزلة في الختم والطبع أن للكافر حدًا إذا بلغ ذلك الحد، وعلم الله منه أنه لا يؤمن طبع على قلبه حتى لا يؤمن.

وهنا يؤكد علم الهدى فساد ذلك قائلًا: "وهذا فاسد على مذهب المعتزلة لوجهين:

أحدهما: أن مذهبهم أن الكافر مكلف، وإن كان قلبه مطبوعا عليه.

الثاني: أن الله عز وجل عالم بكل من يؤمن في آخر عمره، وبكل من لا يؤمن أبدًا، وبلغ ذلك الحد أو لم يبلغ"(٢).

ثم ألا يمكن أن يقال أيضًا –عند المعتزلة – إنه منع الإخلاص دون الإيمان؟

هنا يقول الإمام الآمدي(ت٦٣١هـ): "إن الله تعالى أخبر بأن الختم مانع من الإيمان على ما سبق تحقيقه، فمن فسر الختم بالمنع من الإخلاص دون الإيمان، كان مراغما لدلالة النص بدعوى لا أصل لها" (٣).

فالدعوى التي تستند على المراغمة، لا شك أنها باطلة؛ وذلك لفساد الأصل فيها، وعلاوة على ما سبق ذكره يتبين أن ما ذهب إليه أهل الاعتزال

---

(١) ينظر، المواقف، للإيجي ج٣ ص٢٤٢، وشرح المقاصد، للتفتازاني، ج٣ ص١٨٧، وما بعدها، وتبصرة الأدلة، النسفي، ج٢ ص٩٨٣، وما بعدها.

(٢) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، ج١ ص٣٧٥.

(٣) أبكار الأفكار، الآمدي، ج٢ ص٢٠٤، ولقد ذكر الآمدي كل الاحتمالات التي وردت للمعتزلة في صرف الختم، والطبع، ثم قام بالجواب عليها، موجهًا سهام نقده لكل هذه الاحتمالات.

من دلالات للنص الإلهي الكريم في توجيه قد تناولته أقاويل أهل السنة، وأبانوا عن ضعفه، وفساده من وجهة نظرهم.

ولم يبق إلا التسليم بما ذهبوا إليه وهو الحق، بيد أنه لابد من بيان الرؤية التفسيرية عند أصحابها؛ لا سيما أن المسألة كلها تتعلق بصميم بحثهم، وبديع علمهم لكتاب الله ﷻ وهنا يتأتى الحديث عن الرؤية التفسيرية للمسألة ذاتها.



المبحث الثاني

الرؤية التفسيرية لمسألة الهدى، والضلال، والختم، والطبع:

لما انعقد المبحث السابق؛ لبيان رؤية المتكلمين لمسألة الهدى، والضلال، والختم، والطبع؛ ناسب أن نذكر رؤية المفسرين للمسألة ذاتها؛ وذلك من أجل الوقوف على اتفاقهم، أو اختلافهم مع المتكلمين ومن معه الحق من وجهة نظرهم التفسيرية.

وعليه ومن خلال تحرير محل النزاع السابق ذكره للمسألة تكون رؤية أهل التفسير للآيات المختلف حولها فقط، ومنها قول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[(١)]، وإلى تلك الآية يقول الإمام السمرقندي(ت٣٧٣هـ): "وهو الدين القيم، ويقال: إن عطاء الله على وجهين: خاص، وعام.

فأما العطاء الخاص؛ فالتوفيق، والعصمة، واليقين، وأما العطاء العام؛ فالصحة، والنعمة، والفراغ، والأمن، والدعوة هنا عامة، والهداية خاصة، فقد دعا جميع الناس بقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾، ثم قال: ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾، فجعل الهداية خاصة؛ لأنها فضله، وفضل الله يؤتيه من يشاء"[(٢)].

فهل رأيت ما بين العطاءين من اختلاف؛ إذ أن التوفيق، والعصمة، واليقين، ويدخل معهم الهداية من النوع الخاص، ولا شك أن الفاعل فيها على الحقيقة هو الله تعالى لعباده.

---

(١) سورة يونس الآية ٢٥.

(٢) بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، ج٢ ص١١٢، بدون تاريخ، وينظر: ما قاله الإمام البغوي في تخصيص الهداية، وعموم الدعوة، ينظر" معالم التنزيل في تفسير القرآن" للإمام البغوي، ج٢ ص٤١٧، تحقيق /عبد الرازق المهدي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١(١٤٠٢هـ)، ومما تجدر ملاحظته أن نبين تطابق تقسيم الإمام السمرقندي مع تقسيم الإمام البغدادي في كتابه" أصول الدين".

وفي ضوء الفصل بين العموم، والخصوص في الآية الكريمة يبين صاحب الجامع لأحكام القرآن هذا فيقول: "عم بالدعوة إظهارًا لحجته، وخص بالهداية استغناءً عن خلقه...، وهذه الآية بينة الحجة في الرد على القدرية؛ لأنهم قالوا: هدى الله الخلق كلهم إلى صراط مستقيم، والله قال: ﴿ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾، فردوا على الله نصوص القرآن"(١).

أما الإمام البيضاوي فقد ألمع إلى تفرقة بين الأمر، والإرادة في العموم، والخصوص فتراه يقول: "وفي تعميم الدعوة، وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على أن الأمر غير الإرادة، وأن المصر على الضلالة لم يرد الله رشده"(٢).

ومفاد هذا التقرير يبين نسبة الهدى إلى الله تعالى من جهة الحقيقة، وإلا لما كان لهذه التفرقة عندهم لزوم.

بيد أنه قد ظهرت فائدة هذه التفرقة، فثبت له الملزوم، وهو بيان التفرقة؛ لتكون الهداية على الحقيقة، وليس على المجاز.

ومن ثّم فما عليه أكثر المفسرين تجاه هذه الآية الكريمة أنهم يفرقون بين عموم الدعوة، وخصوص الهداية التي ترتبط بمشيئة الله تعالى.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(ت٦٧١هـ) ج٨ ص٣٢٩، تحقيق/ أحمد البردوني، نشر: دار الكتب المصرية=

القاهرة، ط٢(١٣٨٤هـ-١٩٦٤م)، وينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات النسفي(ت٧١٠هـ) ج٢ ص١٧، تحقيق/ يوسف علي بديوي، نشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط١(١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ج٦ ص٤٠، تحقيق/ صدقي محمد جميل، نشر: دار الفكر، بيروت، ط(١٤٢٠هـ)، وفتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني(ت١٢٥٠هـ) ج٢ ص٤٩٨، نشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت ط١(١٤١٤هـ).

(٢) أنوار التنزيل، وأسرار التأويل، للإمام ناصر الدين أبي سعيد البيضاوي، ج٣ ص١١٠، تحقيق/ محمد عبد الرحمن المرعشلى، نشر: دار إحياء التراث العربي، ط١(١٤١٨هـ)، وينظر: من تفاسير المتأخرين للوقوف على هذه التفرقة " التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج " د/ وهبة الزحيلي، ج١١ ص١٥١، نشر: دار الفكر المعاصر، ط٢(١٤١٨هـ).

ومن النصوص القرآنية التي يمكن معرفة رؤية أهل التفسير من خلالها في مسألة الهدى، والضلال قوله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾(١).

ههنا يقرر الإمام الطبري(ت٣١٠هـ) فيقول: "الهداية، والإضلال بيد الله، والمهتدي هو السالك سبيل الحق، الراكب قصد المحجة في دينه، من هداه الله لذلك فوفقه لإصابته، والضال؛ من خذله الله فلم يوفقه لطاعته، ومن فعل الله ذلك به فهو الخاسر، يعني الهالك"(٢).

ولقد قال صاحب أنوار التنزيل، وأسرار التأويل: "إن الآية تصريح بأن الهدى، والضلال من الله، وأن هداية الله تختص ببعض دون بعض، وأنها مستلزمة للاهتداء، والإفراد في الأول، والجمع في الثاني باعتبار اللفظ، والمعنى: تنبيه على أن المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين، والاقتصار في الإخبار عمن هداه الله بالمهتدي لشأن الاهتداء، وتنبيه على أنه في نفسه كمال جسيم، ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه، وأنه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة"(٣).

أما أبو حيان فلقد أوضح أن دلالة الآية تبين أنه تعالى المتصرف في عباده بما شاء من هداية، وضلال، وتقرر في مذهب أهل السنة أنه تعالى هو خالق الهداية، والضلال في العبد، وللمعتزلة في هذا ونظائره تأويلات...، وهذه التأويلات كلها متكلفة بعيدة، وظاهر الآية يرد على القدرية، والمعتزلة"(٤).

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٨.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ج١٣ ص٧٦، تحقيق/ أحمد شاكر، نشر: مؤسسة الرسالة، ط١(١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٧ ص٣٢٤" إذ يقول وهذه الآية ترد على القدرية كما سبق، وترد على من قال إن الله تعالى هدى جميع المكلفين، ولا يجوز أن يضل أحداً"

(٣) أنوار التنزيل، واسرار التأويل، للبيضاوي، ج٣ ص٤٣، وينظر: في ذلك تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير(ت٧٧٤) ج٣ ص٥١٢ إذ يقول" من هداه الله فإنه لا مضل له، ومن أضله فقد خاب وخسر وضل لا محالة، فإنه تعالى ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن" تحقيق/ سامي بن محمد سلامة، نشر: دار طيبة، ط٢(١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

(٤) البحر المحيط، أبو حيان النحوي الأندلسي، ج٥ ص٢٢٧

ويشير الإمام النيسابوري(ت٨٥٠هـ) إلى معتقد الأشاعرة، وتأويل المعتزلة للآية الكريمة فيقول: "ولا يخفى أن ظاهر الآية موافق لمعتقد الأشاعرة أن الهداية، والضلال بل جميع الأفعال بخلق الله تعالى، والمعتزلة أولوها بأن المراد من يهد الله إلى الجنة، والثواب، فهو المهتدي في الدنيا، ومن يضلله عن الجنة، والثواب يضلله عن طريق الجنة"(١).

وفي السياق ذاته يأتي حديث الشيخ رشيد رضا(ت١٣٥٤هـ) ليبين: "أن أسباب الهدى والضلال، إنما ينتهي كل نوع منها بالمرء المستعد إلى كل من الغايتين، والعرضة لسلوك كل من النجدين؛ بتقدير الله، والسير على سننه في استعمال مواهبه، وهداياته الفطرية من العقل، والحواس في أحد السبيلين: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾(٢)، وفي الآية من محاسن البديع الاحتباك، وهو حذف الفوز والفلاح من الجملة الأولى؛ للعلم به من إثبات نظيره ومقابله- وهو الخسران - في الجملة الثانية وحذف الضال من الجملة الثانية لإثبات مقابله وهو المهتدي في الجملة الأولى"(٣).

ولقد ألمع صاحب صفوة التفاسير إلى الغرض من الآية في عبارة مختصرة إذ يقول: "والغرض من الآية بيان أن الهداية، والإضلال بيد الله"(٤).

---

(١) غرائب القرآن، ورغائب الفرقان، نظام الدين الحصن بن محمد النيسابوري، ج٣ ص٣٤٨، تحقيق/ الشيخ زكريا عميرات، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤١٦هـ)

(٢) سورة الإنسان الآية ٣.

(٣) تفسر المنار، للشيخ محمد رشيد رضا، ج٩ ص٣٤٩، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة(١٩٩٠م)، وينظر: قول الإمام المراغي لبيان أنواع الهداية، والضلال إذ يقول" ولا شك أن الهداية الإلهية نوع واحد وهو الإيمان الذي ثمرته العمل الصالح أما أنواع الضلال فلا حصر لها، ويرشد إلى ذلك قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، ينظر تفسير المراغي ج٩ ص١١٣ نشر: مكتبة مصطفي البابي الحلبي ط١(١٣٦٥هـ-١٩٤٦م).

(٤) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ج١ ص٤٤٨ن نشر: دار الصابوني للطباعة والنشر، القاهرة، ط١(١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

وينتهي الإمام الألوسي(ت١٢٧٠هـ)؛ ليظهر الحقيقة الساطعة عنده فيقول: "وفي الآية تصريح بأن الهدى، والضلال من الله تعالى، فسبحان من أضل المعتزلة"[١].

ومما سبق عرضه من أقوال أهل التفسير يتضح بلا ريب قوة مذهب أهل السنة، وضعف حجة أهل الاعتزال، من توجيه، وبيان بأن الهدى، والضلال ما يخلقه الله في قلوب عباده على الحقيقة.

أما قول الله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾[٢].

فيقول ابن عطية(ت٥٤٢هـ): "والآية نص في أن الله عز وجل يريد هدى المؤمن، وضلال الكافر، وهذا عند جميع أهل السنة بالإرادة القديمة التي هي صفة ذاته تبارك وتعالى، والهدى في هذه الآية هو خلق الإيمان في القلب واختراعه...، والهدى لفظة مشتركة تأتي بمعنى الدعاء، وتأتي بمعنى إرشاد المؤمنين، وغير ذلك؛ إلا أنها في هذه الآية، ونحوها، لا يتجه حملها إلا على خلق الإيمان، واختراعه؛ إذ الوجوه من الهدى تدفعها قرائن الكلام مما قبل وبعد"[٣].

وهكذا يقطع ابن عطية بأن هذا هو المعنى الصحيح عند جميع أهل السنة كما رأيت.

ويؤكد صاحب البحر المحيط على عنايته بإظهار جانب الحقيقة والمجاز للألفاظ فيقول: "والهداية هنا مقابلة الضلالة، والشرح كناية عن جعله قابلًا

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، ج٥ ص١١٠، تحقيق/ علي عبدالباري عطية نشر: دار الكتب العلمية، ط١(١٤١٥هـ).

(٢) سورة الأنعام جزء من الآية ١٢٥.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية، ج٢ ص٣٤٢، تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤٢٢هـ)، وينظر: قول سهل" إن الله ميز بين المريد، والمراد في هذه الآية، وإن كان الجميع من عنده، وإنما أراد أن يبين موضع الخصوص من العموم" ينظر " تفسير التستري" لأبي محمد سهل بن عبد الله التستري، ج١ ص٦٢، تحقيق/ محمد باسل عيون، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤٢٣هـ)

للإسلام متوسعًا لقبول تكاليفه، ونسبة ذلك إلى صدره مجاز عن ذات الشخص؛ ولذلك قالوا فلان واسع الصدر؛ إذا كان محتملًا ما يرد عليه من المشاق، والتكاليف، ونسبة إرادة الهدى، والضلال إلى الله إسناد حقيقي؛ لأنه تعالى هو الخالق ذلك، والموجد له، والمريد له...، وضمير فاعل الهدى عائد على الله أي: يشرح الله صدره"[1].

وثمة توضيح من الإمام النيسابوري بعد أن سرد رأي الأشاعرة، والمعتزلة –كل على حسب قوله المعروف–تجده يجيب على ما ذهب إليه أهل الاعتزال فيقول: "ليس في الآية أنه أراد ذلك أو لم يرده، بأن قوله في آخر الآية كذلك يجعل الله الرجس، تصريح بأنه فعل به ذلك الإضلال؛ لأن الكاف للتشبيه، والتقدير، كما جعلنا ذلك الضيق، والحرج في صدره، كذلك يجعل، وفيه أيضًا دلالة على أن المراد من قوله ومن يرد أن يضله هو أنه يضله عن الدين"[2].

ولا يخفى على صاحب محاسن التأويل أن يفرق بين مراد الله تعالى فيقول" إن الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة شرعية دينية تتضمن محبته ورضاه، وإرادة كونية قدرية تتضمن خلقه وتقديره.

والثانية مثل قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾[3].

ولعل أبرز ما قيل في تصوير منشأ الخلاف عند المتكلمين ما يدلي به الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار إذ يقول: "وإنما وقع حذاق النظار في أمثال هذا الخلاف؛ لاتخاذ مذاهبهم أصولًا مسلمة، ومحاولة حمل نصوص كتاب الله تعالى، وأخبار رسوله ﷺ عليها لتصحيحها، وإبطال مذاهب خصومهم المخالفة

---

(١) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، ج٤ ص٦٣٩، وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٧ ص٨١

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، ج٣ ص١٦١، وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي(ت٩٨٢هـ) ج٣ ص١٨٣، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ" إذ يقرر في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ ﴾ أي يخلق فيه الضلال بصرف اختياره إليه

(٣) محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد بن سعد القاسمي(ت١٣٣٢هـ)، ج٨ ص٧٠، تحقيق/ محمد باسل عيون، نشر: دار الكتب العلمية ط١(١٤١٨هـ).

لها، فهم ينظرون في كل آية تتعلق بقواعد هذه المذاهب مفردة على حدتها، ولا يعرضونها على سائر الآيات التي في موضوعها ليكونوا مؤمنين، وعاملين بالكتاب كله جاعليه عضين، ومن استعرض عقله عند تحقيق كل عقيدة، أو مسألة مجموع ما ورد فيها يتجلى له الحق، وأنه لا مجال للاختلاف في كتاب الله سبحانه: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[1]، ففي الكتاب أن الله خالق كل شيء[2].

ومن ثّم فهذه الصياغات – ومثيلاتها – عند أكثر المفسرين، تتعاضد، وتتجاور مع صياغات متكلمي أهل السنة في مسألة الهدى، والضلال.

ثم نأتي إلى مسألة الختم، والطبع، وكيف السبيل إلى توجيه دلالة النص الإلهي فيها عند المفسرين؟ كقوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [3].

وهنا يبين الإمام الطبري المعنى قائلًا" وأصل الختم، والطبع، والخاتم هو الطابع يقال منه ختمت الكتاب؛ إذا طبعته...، والختم الذي ذكره الله تبارك تعالى، نظير الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية، والظروف التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلّها. فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم، إلا بعد فضه خاتمه وحله رباطه عنها"[4].

---

(١) سورة النساء جزء من الآية ٨٢.

(٢) تفسير القرآن الحكيم، الشيخ محمد رشيد رضا، ج٨ ص٣٨.

(٣) سورة البقرة جزء من الآية ٧.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ج١ ص٢٥٨، وما بعدها، على أن الإمام الطبري قد أورد شبه المخالف، وقام بالرد عليها من وجهة نظره في حقيقة الختم على القلوب، أو كون الختم دلالة على تكبرهم، وإعراضهم عن الاستماع لما دعوا إليه من الحق يقول لهم" فإن الله تبارك وتعالى قد أخبر أنه هو الذي ختم على قلوبهم وسمعهم، وكيف يجوز أن يكون إعراض الكافر عن الإيمان، وتكبره عن الإقرار به – وهو فعله عندكم – ختمًا من الله على قلبه وسمعه، وختمه على قلبه وسمعه فعل الله عز وجل دون الكافر، فإن زعموا أن ذلك جائز.. تركوا قولهم، وأوجبوا أن الختم من الله على قلوب الكفار، وأسماعهم، معنى غير كفر الكافر، وغير تكبره، وإعراضه عن قبول الإيمان، والإقرار به، وذلك دخول فيما أنكروه.

ومعنى هذا الإيضاح عند الإمام الطبري هو التمثيل بين عدم وصول الإيمان إلى القلوب، وعدم رؤية الأوعية طالما كون الخاتم موجودًا في كلٍ منهما.

ويشير أبو المظفر السمعاني(ت٤٨٩هـ) على لسان كيسان إلى الأقوال في الآية فيقول: "أحدها: أي جازاهم على كفرهم بأن اختم على قلوبهم، والثاني: وهو قول أهل السنة أي أختم على قلبهم بالكفر لما سبق من علمه الأزلي فيهم، وحكي قول ثالث: جعل على قلوبهم علامة تعرفهم الملائكة بها، وهذا تأويل أهل الاعتزال، نبرأ إلى الله منه"(١).

وتذييل الكلام عند أبي المظفر لأهل الاعتزال مفاده أنه لا يرتضيه البتة.

وهنا يؤكد الإمام القرطبي(ت ٦٧١هـ): "أن الآية أدل دليل، وأوضح سبيل، على أن الله سبحانه خالق الهدى، والضلال، والكفر، والإيمان؛ فاعتبروا أيها السامعون، وتعجبوا أيها المفكرون من عقول القدرية القائلين بخلق إيمانهم، وهداهم؛ فإن الختم هو الطبع فمن أين لهم الإيمان ولو جهدوا"(٢).

لكن كيف يمكن استناد هذا الختم إلى الله تعالى؟

هنا يرد الإمام البيضاوي(ت٦٨٥هـ) قائلا: "هي من حيث إن الممكنات بأسرها مستندة إلى الله تعالى، واقعة بقدرته أسندت إليه، ومن حيث إنها مسببة مما اقترفوه؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾...، وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم، ووخامة عاقبتهم"(٣).

---

(١) تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني، ج١ ص٤٦،٤٧، تحقيق/ ياسر إبراهيم، نشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١(١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، وينظر: ما نقله الإمام البغوي بعرض آراء الفرق في الختم في " معالم التنزيل في تفسير القرآن" ج١ ص٨٦، وينظر: قول الإمام النسفي" الآية حجة لنا على المعتزلة في الأصلح فإنه أخبر أنه ختم على قلوبهم، ولا شك أن ترك الختم أصلح لهم " ينظر تفسير النسفي ج١ ص٤٦، وينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج١ ص٨٤، وما بعدها.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١ ص١٨٦، ويرفض الإمام القرطبي تأويل المعتزلة للآية وكونها تسميةً، وحكمًا، وإخبارًا؛ لأن حقيقة الختم، والطبع إنما هو فعل ما يصير به القلب مطبوعًا مختومًا".

(٣) أنوار التنزيل، وأسرار التأويل، البيضاوي، ج١ ص٤٢، وينظر: قول أبي حيان" نسبة الختم إلى الله تعالى بأي معنى فسر إسناد صحيح إذ هو إسناد إلى الفاعل الحقيقي؛ =

ولم يبق إلا توضيح من صاحب تفسير المنار عن سبب هذا الختم فيقول: "هذا التعبير مثلٌ لمن تمكن الكفر في قلوبهم حتى فقدوا الدواعي، والأسباب التي تعطفهم إلى النظر، والفكر في أدلة الإيمان، ومحاسنه، ختم الله على قلوبهم؛ فلا يدخلها غير ما رسخ فيها"(١).

إذن فبأي شيء يمكن أن لا يكون الختم من الله تعالى على جهة الحقيقة – كما يدعي المخالف – وبأي شيء يمكنُ صرفُ نصٍ الهيٍ يدل على اقتهار، واقتدار الرب العلي الكريم؟!

لكنك حين تمعن النظر ترى الدور البارز لأهل السنة في تفسير تلك النصوص، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾(٢).

ههنا يؤكد صاحب بحر العلوم على أن الطبع هو الختم فيقول طبع الله عليها يعني ختم الله على قلوبهم بكفرهم"(٣).

وثمة ملاحظة للإمام البغوي يفرق فيها بين الطبع بسبب العمل، والطبع من الله تعالى فيقول: "بل طبع الله عليها بكفرهم، أي ختم عليها، فلا يؤمنون إلا قليلا، يعني: ممن كذب الرسل، لا ممن طُبع على قلبه؛ لأن من طَبع الله على قلبه لا يؤمن أبدا"(٤).

=إذ الله تعالى خالق كل شيء" ينظر البحر المحيط في التفسير" لأبي حيان، ج١ ص٨٠، وينظر:" إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لأبي السعود العمادي، ج١ ص٣٧، وينظر: محاسن التأويل، للقاسمي، ج١ ص٢٤٧.

(١) تفسير القرآن العظيم، محمد رشيد رضا، ج١ ص١٢٠.

(٢) سورة النساء جزء من الآية ١٥٥.

(٣) بحر العلوم، لأبي الليث السمرقندي، ج١ ص٣٥٦، وينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام الطبري، ج٩ ص٣٦٣،٣٦٤، إذ يبين أن الطبع هو الختم، حتى أن المحقق – أحمد شاكر – قد نعت الإمام بالنسيان – ولست موافقًا لذلك – وقال إن الذي مضى هو الختم وليس الطبع/ وقد أجاب على نفسه حينما قال إن الختم هو الطبع، وهو عين ما كان يقصده الإمام الطبري. وينظر: في ذلك الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الواحدي، ج١ ص٣٠٠، تحقيق/ صفوان عدنان، نشر: دار القلم، دمشق، بيروت، ط١(١٤١٥هـ).

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج١ ص٧١٨.

ويضيف الإمام البيضاوي تأويلًا لما سبق ذكره فيقول: "بل طبع الله عليها بكفرهم؛ فجعلها محجوبة عن العلم، أو خذلها ومنعها التوفيق، للتدبر في الآيات، والتذكر في المواعظ، فلا يؤمنون إلا قليلا منهم كعبد الله بن سلام، أو إيمانًا قليلًا إذ لا عبرة به لنقصانه"(١).

ولقد دَّرجَ صاحب البحر المحيط على بيان الحقيقة والمجاز للنص الإلهي اتباعًا للمنهج عنده فقال: "أما أهل السنة فيقولون إن الله طبع عليها حقيقة كما أخبر تعالى إذ لا خالق غيره"(٢).

وفي السياق نفسه يؤكد صاحب روح المعاني المسألة – كما هي عند أهل السنة – من جهة اللغة فيقول" بل طبع الله عليها بكفرهم.. كلام معترض بين المعطوفين جيء به على وجه الاستطراد مسارعة على زعمهم الفاسد أي ليس كفرهم، وعدم وصول الحق إلى قلوبهم؛ لكونه غلف بحسب الجبلة، بل الأمر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم، وليست قلوبهم كما زعموا، بل هي مطبوع عليها بسبب كفرهم؛ فلا يؤمنون إلا قليلا منهم؛ كعبد الله بن سلام، وأضرابه"(٣).

وليس معنى طبع الله على قلوبهم، أنه لم يمكنهم من الخير، وهذا ما قاله القاسمي (ت١٣٣٢هـ): "ختم الله عليها بسبب كفرهم؛ لأنه خلقها أولًا على الفطرة متمكنة من اختيار الخير والشر، فلما أعرضوا بما هيأ قلوبهم له من قبول النقص عن الخير، واختاروا الشر باتباع شهواتهم الناشئة من نفوسهم، وتركوا ما تدعو إليه عقولهم؛ طبع سبحانه عليهم فجعلها قاسية محجوبة"(٤).

---

(١) أنوار التنزيل، وأسرار التأويل، البيضاوي، ج٢ ص١٠٧، وينظر: تفسير النسفي، ج١ ص٤١٢.

(٢) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، ج٤ ص١٢٣

(٣) روح البيان، تأليف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي(ت١١٢٧هـ)، ج٢ ص٣١٦، نشر: دار الفكر بيروت، بدون تاريخ، وينظر: نفس هذا التوجيه اللغوي في فتح القدير، للشوكاني، ج١ ص٦١٥

(٤) محاسن التأويل، القاسمي، ج٣ ص٣٩١، وينظر: في ذلك قول الإمام المراغي يقول" لأن الله ختم عليها بسبب كفرهم الكسبي، وما له من الأثر القبيح في أعمالهم، وأخلاقهم، فهم باستمرارهم على ذلك الكفر لا ينظرون في شيء آخر نظر استدلال، واعتبار، مع

ولا شك أن تأويل هذه النصوص يتسق مع المراد القريب للنص الإلهي من حيث بيانه لجهة الحقيقة والمجاز.

ولا شك أن حمل نصوص القرآن على الحقيقة أولى من المجاز، بناءً على قواعد الترجيح عند المفسرين.

فالقول إذن عند أكثر المفسرين من خلال هذه النصوص المتضافرة يبين كون الطبع من الله تعالى على جهة الحقيقة.

أنه من الأمور التي يصل إليها اختيارهم، ولكنهم لا يختارون إلا ما ألفوا وتعودوا " ينظر تفسير المراغي، ج٦ ص١٢.

الخاتمة :

ههنا نحن أمام مسألة الهدى، والضلال، والختم، والطبع، ورؤية المتكلمين، والمفسرين لها من حيث توجيه دلالة النص الإلهي الكريم فيها – للآيات محل النزاع –.

وبناءً على ما سبق ذكره في هذا البحث يمكن توضيح بعض النقاط وهي كالتالي:

أولًا : المنطلقات واللوازم :

معلوم أن مسألة الهدى والضلال، والختم والطبع، وتحديد القول فيها عند المعتزلة، وأهل السنة؛ فإن النتائج فيها سوف تكون مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمسألة خلق أفعال العباد.

فحينما ترى المعتزلة بأن الإنسان يخلق أفعال نفسه؛ لذلك فإن النص الإلهي الكريم الذي يبين مسألة الهدى، والضلال، والختم، والطبع من الله للعبد لا يمكن البتة أن يكون على جهة الحقيقة، بل لابد من التأويل على سبيل المجاز.

أما في مأثور علم الكلام عند أهل السنة فالقطع بأن الله هو الذي يخلق أفعال العباد، لذا فلا حاجة إلى تأويل النص الإلهي الكريم، وإبعاده عن المعنى المراد من جهة الحقيقة، علاوة على أن هذا الإسناد لا يترتب عليه محال، فلا يصرف الى غيره، وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز أنه خالق كل شيء.

ولا شك أن كل فريق من المتكلمين قد نحا منحى الاتساق مع أصل القاعدة في المنطلق؛ فلزم القول بالنتيجة التي وصل إليها كل منهم.

ثانيًا : الإجمال والتفصيل :

اختلفت ردود أهل السنة على المعتزلة في مسألة الهدى، والضلال، والختم، والطبع، اختلافًا بين الإجمال والتفصيل؛ فنرى الشيخ الأشعري قد اتسمت ردوده بالجانب الإجمالي؛ لنقض مذهب أهل الاعتزال، وقولهم، وكان يكثر من قوله" يقال لهم "، على الرغم من ذكره مسائل عديدة تتعلق بذات الأمر.

بينما نرى البعض الآخر قد نحا منحى تفصيليًا في الرد عليهم تجاه تأويل النصوص في كونها تسميةً وحكمًا، أو إرشادًا وبيانًا، أو لطفًا، أو ثوابًا وطريقًا إلى الجنة؛ كالإمام الباقلاني ثم زاد الإمام الجويني المسألة تفصيلًا، ثم كان الإمام الآمدي الذي عرض رؤية المخالف، وفصَّل الرد عليها في أبكار الأفكار.

بيد أن هذا الإجمال، والتفصيل لم يكن عند جناح أهل السنة الثاني – أعني الماتريدية – إذ جاءت المسألة على عمومها مختصرة في بعض كتب الماتريدية؛ ولهذا يقول النسفي" ولكون هذه المسألة عين مسألة خلق أفعال العباد لم نشتغل بتطويلها، وإيراد ما أورده سلف الأمة من الدلائل السمعية، والعقلية"[(١)].

ثالثًا: اختلاف المنهج:

اختلاف منهج البحث، والسير في خطواته بين المتكلمين، والمفسرين؛ حيث إن المتكلمين نظروا إلى المسألة باعتبارها فرعًا لمسألة أفعال العباد.

وصوب هذا الأصل اتخذوا منهج الرأي، والرأي الآخر في صحة الرأي، والرد على المخالف للمسألة، شافعين كل رأي بدلالة المنقول، والمعقول على حسب وجهة نظر كل منهما.

أما المنهج التفسيري فكان أعم، وأشمل للمسألة من كونها خلافًا بين أهل الاعتزال، وأهل السنة والجماعة.

والحق أن هذا الأمر يرجع لكثرة الطرق المتبعة عند المفسرين في تفاسيرهم.

فمنهم من يسلك مسلك التفسير بالمأثور، فيقدم المعنى الذي يؤيده القرآن الكريم، أو تقرره السنة النبوية الصحيحة، أو يرجح بعض أقوال الصحابة، ومن بعدهم التابعين، وكذلك المعاني التي تؤيدها أسباب النزول الصريحة، أو الصحيحة.

ومنهم من يتبع مسلك التفسير بالرأي – المحمود – فيترجح عنده ما تؤيده علوم اللغة العربية من التقديم، والتأخير، أو الحقيقة والمجاز، أو الحذف

---

(١) تبصرة الأدلة، النسفي، ج٢ ص٩٨٧

والإثبات أو غير ذلك مما يرجحه استعمال العرب، أو مما يرد في لسان العرب، ولا شك أنَّ لكل هذا التنوع، والشمول مذاقًا ومشربًا يختلف قليلًا، أو كثيرًا عن منهج المتكلمين في خطوات بحث المسألة، فإن المتكلمين لهم مباحث العقيدة وهي مواضع بحثهم، ونقاشاتهم، ومحل تخصصهم، وميدان جهادهم.

أما المفسرون فجلُّ عملهم، ومحل اهتمامهم هو بيان معاني القرآن بقدر الطاقة البشرية مع توافر الملكات اللازمة لمن يُقدم على تفسير كتاب الله تعالى؛ ولذلك كان تناولهم لمثل هذه المباحث في إطار منهجهم العام، وهو توضيح المعاني، وليس تفنيد العقائد والله أعلم.

رابعًا: القول لا يفضي إلى الكفر:

على الرغم من اختلاف أهل السنة مع أهل الاعتزال في إسناد الفعل إلى الله تعالى في الهداية، والإضلال، والختم، والطبع؛ فلا تكفير من أحدهما للآخر البتة؛ لأنه لا نزاع في أن المقصد الأسنى لكليهما هو تنزيه الباري ﷻ.

ويشير الإمام الرازي إلى هذا قائلًا: "هذه المسألة من أعظم المسائل الإسلامية، وأكثرها شعبًا، وأشدها شغبًا، ويحكى أن الإمام أبا القاسم الأنصاري سئل عن تكفير المعتزلة في هذه المسألة، فقال لا؛ لأنهم نزهوه، فسئل عن أهل السنة فقال لا؛ لأنهم عظموه، والمعنى أن كلا الفريقين ما طلب إلا إثبات جلال الله وعلو كبريائه، إلا أن أهل السنة وقع نظرهم على العظمة فقالوا: ينبغي أن يكون هو الموجد، ولا موجد سواه، والمعتزلة وقع نظرهم على الحكمة فقالوا لا يليق بجلال حضرته هذه القبائح" [1].

---

(١) مفاتيح الغيب، الإمام الرازي، ج٢ ص٢٩٤،٢٩٥، وما نقله الإمام الرازي عن أبي القاسم الأنصاري لم نجده في الغنية، أو في شرح الإرشاد. لكن أغلب الظن إما أنه موجودًا في بعض الكتب المفقودة عند الأنصاري، أو نقل إلى الإمام الرازي عن طريق والده الذي كان تلميذًا مباشرًا لأبي القاسم الأنصاري، وقد ذُكر ذلك في طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي، ج٧ ص٢٤٢، تحقيق/ محمود الطناحي، د/ عبد الفتاح محمد الحلو، نشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢(١٤١٢هـ)، وينظر: طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة، ج٢ ص١٥، تحقيق د/ الحافظ عبد العليم، نشر: دار عالم الكتب، بيروت، ط١(١٤٠٧هـ)، تفسير الرازي، ج١ ص٩٩، ج٢ ص٢٩٤

وعليه فالإشارة إلى هذه الجهة لما يوهم ظن كثير من الفرق التي تسعى إلى التكفير؛ مادام هناك خلاف بين المتكلمين من وجهة نظرهم، ولا سيما أن المسألة تتعلق بالذات الإلهية.

ومن ثّم يؤكد الإمام الرازي على أن التعارض في هذه المسألة: "بحسب العلوم الضرورية، وبحسب العلوم النظرية، وبحسب تعظيم الله تعالى؛ نظرًا إلى قدرته، وحكمته، وبحسب التوحيد، والتنزيه، وبحسب الدلائل السمعية؛ فلهذه المآخذ التي شرحناها، والأسرار التي كشفنا عن حقائقها صعبت المسألة، وغمضت، وعظمت"(١).

فالحق – إذن – أن المسألة لا تكفير فيها عند المشتغلين بها، وكل ما في الأمر خلافٌ بينهما تراه كل فرقة منهما بحسب ما تراه صحيحًا من وجهة نظرها.

على أننا نأكد أن الحق في المسألة – من وجهة نظري – هو ما يراه أهل السنة، لما له من اتساق مع النصوص القطعية الدلة من جهة، ومن التأدب اللائق في جانب الذات الإلهية من جهة ثانية، ومن نصاعة الفكر، وجلاء العقل عندهم في المسألة من جهة ثالثة.

خامسًا: تفريعات المسألة:

ليس لأهل السنة في أفعال العباد سوى مفهوم واحد لمسألة الهدى، والضلال، والختم، والطبع – للآيات محل النزاع – يدور حول كون الفعل من الله تعالى على سبيل الحقيقة.

بخلاف أهل الاعتزال فالمسألة على سبيل المجاز؛ بناءً على رؤيتهم لمسألة أفعال العباد.

ههنا نجد أنفسنا بإزاء تفريعات شتى كلها ترتبط بمسألة البحث.

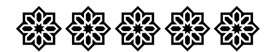
فهل الإيمان الذي يخلقه الله في قلوب عباده حقيقة عند أهل السنة يكفي فيه التصديق من العبد، أو أنه يتعدى إلى الإقرار، كما زاد البعض، أم لابد فيه من العمل كما هو الحال عند آخرين؟!

---

(١) مفاتيح الغيب، الإمام الرازي، ج٢ ص٢٩٥

ههنا يتفرع خلافٌ للمتكلمين في مسألة حقيقة الإيمان؛ على أن الختم، والطبع ما كان إلا بسبب أعمال العباد؛ فماذا عن علاقة العمل بالإيمان في واقعنا المعاصر؟

هنا نجد أنفسنا إزاء مسألة من الأهمية بمكان تترجح أن تكون عنوانًا لبحثنا القادم بحول الله وقوته تحت عنوان "علاقة العمل بالإيمان، وأثر ذلك على الواقع المعاصر".



المصادر والمراجع

١. الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق د/ فوقية حسين، دار الأنصر للطباعة والنشر، ط١(١٣٩٤هـ-١٩٧٧م).
٢. أبكار الأفكار، للإمام سيف الدين الآمدي، وما بعدها، تحقيق د/ أحمد المهدي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ط٤(١٤٢٣هـ-٢٠١٢م).
٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي(ت٩٨٢هـ) نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٤. الإرشاد، لإمام الحرمين الجويني تحقيق/ محمد يوسف موسى، عليّ عبد المنعم عبد الحميد، نشر مكتبة الخانجي ط (١٣٦٩هـ-١٩٥٠م).
٥. أصول الدين، البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر مكتبة صبيح، بدون تاريخ.
٦. أصول الدين، للإمام البغدادي، مطبعة الدولة، إستانبول، ط(١٣٤٦هـ-١٩٢٨م).
٧. الاعتماد في الاعتقاد، للإمام أبي البركات النسفي، تحقيق د/ عبد الله محمد عبد الله، نشر المكتبة الأزهرية للتراث ط١(١٤٣٢هـ-٢٠١٢م)
٨. أنوار التنزيل، وأسرار التأويل، للإمام ناصر الدين أبي سعيد البيضاوي، تحقيق / محمد عبد الرحمن المرعشلى، نشر: دار إحياء التراث العربي، ط١(١٤١٨هـ).
٩. بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، ضمن خدمة مقارنة التفاسير، بدون تاريخ.
١٠. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف تحقيق/ صدقي محمد جميل، نشر: دار الفكر، بيروت، ط(١٤٢٠هـ).
١١. البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين، للشيخ الإمام نور الدين الصابوني، تحقيق د/ فتح الله خليف، دار المعارف، مصر.
١٢. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني، تحقيق/ مجموعة من المحققين، نشر: دار الهداية، بدون تاريخ.

١٣. تأويلات أهل السنة، للإمام أبي منصور الماتريدي تحقيق د/ مجدي باسلوم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).
١٤. تبصرة الأدلة في أصول الدين، للإمام أبي المعين النسفي، تحقيق د/ محمد الأنور حامد عيسى، نشر المكتبة الأزهرية للتراث ط١ (٢٠١١م).
١٥. تحكيم العقول في تصحيح الأصول، للشيخ الحاكم الجاشمي، تحقيق: عبد السلام بن عباس، نشر مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ط٢ (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).
١٦. تفسر المنار، للشيخ محمد رشيد رضا، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة(١٩٩٠م).
١٧. تفسير التستري" لأبي محمد سهل بن عبد الله التستري، تحقيق/ محمد باسل عيون، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤٢٣هـ).
١٨. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير(ت٧٧٤) تحقيق/ سامي بن محمد سلامة، نشر: دار طيبة، ط٢(١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).
١٩. تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني، ج١ تحقيق/ ياسر إبراهيم، نشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١(١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
٢٠. تفسير المراغي، الإمام المراغي، نشر: مكتبة مصطفي البابي الحلبي ط١(١٣٦٥هـ-١٩٤٦م)
٢١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج " د/ وهبة الزحيلي، نشر: دار الفكر المعاصر، ط٢(١٤١٨هـ).
٢٢. التمهيد، الإمام القاضي أبي بكر الباقلاني، عني بنشره الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، مطبعة، المكتبة الشرقية، بيروت، سنة ١٩٥٧م.
٢٣. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت ٣٧٠هـ) تحقيق محمد عوض، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط (٢٠٠١م).
٢٤. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق/ أحمد شاكر، نشر: مؤسسة الرسالة، ط١(١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

٢٥. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(ت٦٧١هـ) تحقيق/ أحمد البردوني، نشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢(١٣٨٤هـ-١٩٦٤م).
٢٦. روح البيان، تأليف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي(ت١١٢٧هـ)، نشر: دار الفكر بيروت، بدون تاريخ.
٢٧. روح المعاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، تحقيق/ على عبدالباري عطية نشر: دار الكتب العلمية، ط١(١٤١٥هـ).
٢٨. شرح الإرشاد في أصول الاعتقاد، لمظفر بن عبد الله المصري المشهور بالمقترح، تحقيق/ نزيهة معاريج، بدون تاريخ.
٢٩. شرح الإرشاد، لأبي بكر بن ميمون، وما بعدها تحقيق د/ احمد حجازي السقا، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة مصر سنة (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).
٣٠. شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، تحقيق د/ عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة للنشر، ط ٢ (١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م).
٣١. شرح المقاصد، للإمام سعد الدين التفتازاني، تحقيق / إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢ سنة٢٠١١م.
٣٢. شرح المواقف، السيد الشريف الجرجاني، تحقيق / محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
٣٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل الفارابي، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، نشر: دار العلم للملايين، بيروت ط٤(١٤٠٧).
٣٤. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، نشر: دار الصابوني للطباعة والنشر، القاهرة، ط١(١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
٣٥. طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي، تحقيق/ محمود الطناحي، د/ عبد الفتاح محمد الحلو، نشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢(١٤١٢هـ).
٣٦. طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد أبن قاضي شهبة، تحقيق د/ الحافظ عبد العليم، نشر: دار عالم الكتب، بيروت، ط١(١٤٠٧هـ).

٣٧. غرائب القرآن، ورغائب الفرقان، نظام الدين الحصن بن محمد النيسابوري، تحقيق/ الشيخ زكريا عميرات، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤١٦هـ).
٣٨. فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني(ت١٢٥٠هـ)، نشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت ط١(١٤١٤هـ).
٣٩. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد الظاهري (ت٤٥٦هـ)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ،
٤٠. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ) تحقيق/ دعلي دحروج، نشر مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط١(١٩٩٦م).
٤١. الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للإمام الزمخشري، طبعة مكتبة مصر ط١(١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
٤٢. لسان العرب، لابن منظور الأنصاري، نشر دار صادر، بيروت ط (١٤١٤هـ).
٤٣. اللمع، لأبي نصر السراج الطوسي تحقيق د/ أحمد عبد الرحيم السايح، توفيق علي وهبة، نشر مكتبة الثقافة الدينية ط(١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).
٤٤. متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار تحقيق د / عدنان زرزور، دار التراث للنشر، بدون تاريخ.
٤٥. محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد بن سعد القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، تحقيق/ محمد باسل عيون، نشر: دار الكتب العلمية ط١(١٤١٨هـ).
٤٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية، تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤٢٢هـ).
٤٧. مختار الصحاح، زين الدين أبوعبد الله محمد بن بكر الرازي (ت٦٦٦هـ) تحقيق/ يوسف الشيخ، نشر المكتبة العصرية، بيروت ط٥ (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

٤٨. المختصر في أصول الدين " القاضي عبد الجبار ضمن رسائل العدل والتوحيد تحقيق د/ محمد عمارة، دار الشرق للطباعة ط٢(١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).
٤٩. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات النسفي(ت٧١٠هـ)، تحقيق/ يوسف علي بديوي، نشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط١(١٤١٩هـ-١٩٩٨م).
٥٠. معالم التنزيل في تفسير القرآن" للإمام البغوي، تحقيق /عبد الرازق المهدي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١(١٤٠٢هـ).
٥١. معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر(ت١٤٢٤هـ) نشر: عالم الكتب ط١(١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
٥٢. المعجم الوسيط، تأليف مجمع اللغة العربية بالقاهرة نشر: دار الدعوة.
٥٣. المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، تحقيق د/ توفيق الطويل، وزارة الثقافة والإرشاد القومي للطباعة والنشر، بدون تاريخ.
٥٤. مفاتيح الغيب، للإمام الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣(١٤٢٠هـ).
٥٥. مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، تأليف: محمد بن الحسن بن فورك، وما بعدها، تحقيق د/ أحمد عبد الرحيم السايح، نشر: مكتبة الثقافة الدينية ط١(١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م).
٥٦. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي(ت٣٩٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر دار الفكر سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٥٧. المواقف، الإمام الإيجي(ت٧٥٦هـ) تحقيق /عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١(١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
٥٨. نهاية الأقدام في علم الكلام، للإمام عبد الكريم الشهرستاني، حرّره وصحّحه ألفريد جيوم، نشر مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ.
٥٩. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الواحدي، تحقيق/ صفوان عدنان، نشر: دار القلم، دمشق، بيروت، ط١(١٤١٥هـ).

References:

1. al'iibanat ean 'usul aldiyanati, li'abi alhasan al'asheari, tahqiq du/ fawqiat husayn, dar al'ansar liltibaeat walnashri, ta1(1394h-1977ma).
2. 'abkar al'afkar, lil'iimam sayf aldiyn alamdi, wama baedaha, tahqiq du/ 'ahmad almahdi, matbaeat dar alkutub walwathayiq alqawmiat ta4(1423h-2012ma).
3. 'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alkitaab alkarim, li'abi alsueud aleimadii(ti982h) nashra: dar 'iihya' alturath alearabi, bayrut, bidun tarikhi.
4. al'iirshadi, li'iimam alharamayn aljuaynii tahqiqu/ muhamad yusif musaa, ely eabd almuneim eabd alhamid, nashr maktabat alkhanji t (1369h-1950ma).
5. 'usul aldiyn, albaghdadii, tahqiq muhamad muhyi aldiyn eabd alhamid, nashr maktabat sabih, bidun tarikhi.
6. 'usul aldiyn, lil'iimam albaghdadii, matbaeat aldawlati, 'iistanbul, ta(1346h-1928ma).
7. alaietimad fi alaietiqadi, lil'iimam 'abi albarakat alnusafi, tahqiq du/ eabd allah muhamad eabd allah, nashr almaktabat al'azhariat lilturath ta1(1432h-2012m)
8. 'anwar altanzilu, wa'asrar altaawili, lil'iimam nasir aldiyn 'abi saeid albaydawi, tahqiq / muhamad eabd alrahman almareashlaa, nashara: dar 'iihya' alturath alearabii, ta1(1418h).
9. bahr aleulumi, li'abi allayth nasr bin muhamad bin 'ahmad bin 'iibrahim alsamarqandi, dimn khidmat muqaranat altafasiri, bidun tarikhi.
10. albahr almuhit fi altafsiri, li'abi hayaan muhamad bin yusif bin ealii bin yusif tahqiqu/ sidqi muhamad jimil, nashara: dar alfikri, bayrut, ta(1420h).
11. albidayat min alkifayat fi alhidayat fi 'usul aldiyn, lilshaykh al'iimam nur aldiyn alsaabuni, tahqiq du/ fath allah khalif, dar almaearifi, masr.

12. taj alearus min jawahir alqamus, muhamad bin muhamad bin eabd alraaziq alhusayni, tahqiqu/ majmueat min almuhaqiqina, nashara: dar alhidayati, bidun tarikhi.
13. tawilat 'ahl alsunati, lil'iimam 'abi mansur almatiridi tahqiq du/ majdi baslum, nushr dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan, ta1(1426h-2005m).
14. tabsirat al'adilat fi 'usul aldiyni, lil'iimam 'abi almueayn alnusafi, tahqiq du/ muhamad al'anwar hamid eisaa, nashr almaktabat al'azhariat lilturath ta1 (2011m).
15. tahkim aleuqul fi tashih al'usuli, lilshaykh alhakim aljashimii, tahqiqu: eabd alsalam bin eabaas, nashr muasasat al'iimam zayd bin eali althaqafiat ta2 (1429h/ 2008ma).
16. tafsir almunar, lilshaykh muhamad rashid rida, nashara: alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, sanati(1990ma).
17. tafsir altastri" li'abi muhamad sahl bin eabd allah altastri, tahqiqu/ muhamad basil euyun, nashara: dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta1(1423h).
18. tafsir alquran aleazimi, 'abu alfida' 'iismaeil bin eumar bn kathira(t774) tahqiqu/ sami bin muhamad salamata, nashra: dar tibati, ta2(1420h-1999ma).
19. tafsir alqurani, li'abi almuzafar alsimeani, ja1 tahqiqi/ yasir 'iibrahim, nashra: dar alwatan, alrayad, alsueudiati, ta1(1418h-1997ma).
20. tafsir almaraghi, al'iimam almaraghi, nashara: maktabat mustafi albabi alhalabii ta1(1365h-1946m)
21. altafsir almunir fi aleaqidat walsharieat walmanhaj " da/ wahbat alzuhayli, nashara: dar alfikr almueasiri, ta2(1418hi).
22. altamhidi, al'iimam alqadi 'abi bakr albaqlani, eani binashrih al'ab ratusharud yusif makarthi alyasuei, matbaeatu, almaktabat alsharqiati, bayrut, sanat 1957m.
23. tahadhib allughati, muhamad bin 'ahmad al'azharii alharawii (t 370hi) tahqiq muhamad eiwad, nashara: dar 'iihya' alturath alearabi, bayrut, lubnan, t (2001ma).
24. jamie albayan fi tawil alqurani, muhamad bin jarir altabri, tahqiqu/ 'ahmad shakir, nashra: muasasat alrisalati, ta1(1420h-200m).

25. aljamie li'ahkam alqurani, alqurtibi(ti671hu) tahqiqu/ 'ahmad albarduni, nashara: dar alkutub almisriati, alqahirati, ta2(1384h-1964ma).
26. ruh albayan, talifu: 'iismaeil haqiy bin mustafaa al'iistanbuli alhanafii alkhuluti(t1127hi), nashra: dar alfikr bayrut, bidun tarikhi.
27. ruh almaeani, shihab aldiyn mahmud bin eabd allah al'alusi, tahqiqu/ ealaa eabdalbari eatiat nashra: dar alkutub aleilmiati, ta1(1415h).
28. sharh al'iirshad fi 'usul aliaietiqadi, limuzafar bin eabd allah almasri almashhur bialmuqtarah, tahqiqu/ nazihat maeariji, bidun tarikhi.
29. sharh al'iirshadi, li'abi bikr bin mimun, wama baedaha tahqiq du/ aihmad hijazi alsaqaa, nashr maktabat al'anjilu almisriati, tabeat misr sanatan (1407h-1987ma).
30. sharh al'usul alkhamsata, alqadi eabd aljabar, tahqiq du/ eabd alkarim euthman, maktabat wahbat lilnashri, t 2 (1431 h / 2010 mi).
31. sharh almaqasidi, lil'iimam saed aldiyn altaftazani, tahqiq / 'iibrahim shams aldiyn, dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan, ta2 sanat2011m.
32. sharh almawaqifi, alsayid alsharif aljirjani, tahqiq / mahmud eumar aldimyati, dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan, bidun tarikhi.
33. alsihah taj allughat wasihah alearabiat, li'abi nasr 'iismaeil alfarabi, tahqiq 'ahmad eabd alghafur eatar, nashra: dar aleilm lilmalayini, bayrut ta4(1407).
34. safwat altafasir, muhamad ealiin alsaabuni, nashara: dar alsaabunii liltibaeat walnashri, alqahirati, ta1(1417h-1997mi).
35. tabaqat alshaafieiat alkubraa, litaj aldiyn alsabki, tahqiqu/ mahmud altanahi, da/ eabd alfataah muhamad alhalu, nashara: hajr liltibaeat walnashr waltawziei, ta2(1412h).
36. tabaqat alshaafieiati, li'abi bakr bin 'ahmad 'abn qadi shahbata, tahqiq du/ alhafiz eabd alealim, nashra: dar ealam alkutab, bayrut, ta1(1407h).

37. gharayib alqurani, waraghayib alfirqan, nizam aldiyn alhasan bin muhamad alnaysaburi, tahqiqa/ alshaykh zakariaa eumayrat, nashra: dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta1(1416h).
38. fath alqidir, limuhamad bin ealii bin muhamad bin eabd allh alshuwkani(ti1250hi), nashra: dar abn kathirin, dar alkalm altayibi, dimashqa, bayrut ta1(1414h).
39. alfasl fi almalal wal'ahwa' walnahlu, li'abi muhamad ealiin bin 'ahmad alzaahirii (ta456hi), nashr maktabat alkhanji, alqahirati, bidun tarikhi,
40. kshaf aistilahat alfunun waleulumu, muhamad bin ealiin abn alqadi altahanwii (t baed 1158h) tahqiqu/ daeali dahruju, nashr maktabat lubnan nashiruna, lubnan, ta1(1996ma).
41. alkashaf ean haqayiq altanzili, waeuyun al'aqawil fi wujuh altaawili, lil'iimam alzamakhshari, tabeat maktabat misr ta1(1431h/2010ma).
42. lisan alearbi, liabn manzur al'ansari, nushir dar sadir, bayrut t (1414hi).
43. allamea, li'abi nasr alsiraaj altuwsi tahqiq du/ 'ahmad eabd alrahim alsaayihi, tawfiq eali wahbat, nashr maktabat althaqafat aldiyniat ta(1430h-2009ma).
44. mitashabih alqurani, alqadi eabd aljabaar tahqiq d / eadnan zarzura, dar alturath lilnashri, bidun tarikhi.
45. mahasin altaawili, limuhamad jamal aldiyn bin muhamad bin saed alqasimii (t1332hi), tahqiqu/ muhamad basil euyun, nashara: dar alkutub aleilmiat ta1(1418h).
46. almuharir alwajiz fi tafsir alkitaab aleaziza, li'abi muhamad eabd alhaqi bin ghalib bin eabd alrahman bin eatiat, tahqiqu/ eabd alsalam eabd alshaafi, nushir dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta1(1422h).
47. mukhtar alsahahi, zayn aldiyn 'abueabd allah muhamad bin bakr alraazi (ta666h) tahqiqu/ yusuf alshaykhu, nashr almaktabat aleasriati, bayrut tu5 (1420h/1999ma).
48. almukhtasar fi 'usul aldiyn " alqadi eabd aljabaar dimn rasayil aleadl waltawhid tahqiq du/ muhamad eimarat, dar alsharq liltibaeat ta2(1408h-1988ma).

49. mdarik altanzil wahaqayiq altaawili, li'abi albarakat alnisfi(ti710hi), tahqiqu/ yusif eali badiwi, nashra: dar alkalm altayibi, bayrut, ta1(1419h-1998m).
50. maealim altanzil fi tafsir alqurani" lil'iimam albaghwy, tahqiq /eabd alraaziq almahdi, nashra: dar 'iihya' alturath alearabi, bayrut, ta1(1402h).
51. maejam allughat alearabiat almueasirati, almualif du/ 'ahmad mukhtar eabd alhamid eamra(t1424h) nashra: ealam alkutub ta1(1429h/2008ma).
52. almuejam alwasiti, talif majmae allughat alearabiat bialqahirat nashra: dar aldaewati.
53. almughaniy fi 'abwab altawhid waleadli, alqadi eabd aljabar, tahqiq du/ twfyq altawil, wizarat althaqafat wal'iirshad alqawmii liltibaeat walnashri, bidun tarikhi.
54. mafatih alghib, lil'iimam alraazi, dar 'iihya' alturath alearabii, bayrut, ta3(1420h).
55. maqalat alshaykh 'abi alhasan al'asheari, talifu: muhamad bin alhasan bin furka, wama baedaha, tahqiq du/ 'ahmad eabd alrahim alsaayihi, nashra: maktabat althaqafat aldiyniat ta1(1425h-2005ma).
56. maqayis allughati, 'ahmad bin faris bin zakariaa alqazwinii alraazi(ti395hi) tahqiq eabd alsalam muhamad harun, nushr dar alfikr sanatan 1399h/1979m.
57. almawaqifi, al'iimam al'iiji(t756hi) tahqiq /eabd alrahman eumayrata, dar aljili, birut, lubnan, ta1(1417h-1997ma).
58. nihayat al'aqdam fi eilm alkalami, lil'iimam eabd alkarim alshahristani, hrrrh wshhhh 'alfrid jium, nashr maktabat althaqafat aldiyniati, bidun tarikhi.
59. alujiz fi tafsir alkitaab aleaziza, li'abi alhasan eali bin muhamad bin eali alwahidi, tahqiqu/ safwan eadnan, nashara: dar alqalami, dimashqa, bayrut, ta1(1415h).